٣٢. قولـه تعالى : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ الآية . قـال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد ابني ملـك كان في بني إسرائيل توفي وترك ابنين ، فاتخذ أحدهمـا القصور والأجنـة ، والآخر كان زاهـداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة ، فكان إذا عمل أخوه شيئاً من زينة الدنيا أخذ مثل ذلك فقدم لآخرته ، واتخذ به عند الله الأجنة والقصور ، حتى نفد ماله . فضربهما مثلاً للمؤمن والكافر الذي أبطرته النعمة»[١] .

وقال الكلبي : «هما أخوان من بني مخزوم[٢] : أحدهما مؤمن وهو أبو سـلمة عبدالله بن عبدالأسد[٣] زوج أم سلمة . والآخر : كافر وهو الأسود»[٤] .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٦٩ ، ١٧٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) بني مخزوم : هذه النسـبة ترجع إلى قبيلتين ؛ إحداهما تنسب إلى بني مخزوم بن عمرو ، ومخزوم قريش هـو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وقد نسـب إلى هـذه القبيلة خلق كثير ، أمَّا مخزوم بن المغيرة فقد نسـب إليه عدد كبير . انظر : الأنسـاب ٥/ ٢٢٥ ، واللباب ٤/ ١٧٩ ، ونهاية الأرب ٢٨١ ، والاشتقاق ٢/ ٢٦٩ .

(٣) عبدالله بن عبدالأسـد بن هـلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي ، أبو سـلمة المكي ، أمه برة بنـت عبد المطلب ، وكان أخاً للنبي ﷺ من الرضاعة ، هاجر الهجرتين ، وشـهد بدراً مع النبي ﷺ ، توفي - رضي الله عنه - بالمدينة في حياة النبي ﷺ في السنة الرابعة من الهجرة ، فتزوج النبي ﷺ بزوجته أم سلمة رضي الله عنها . انظر : أسد الغابة ٣/ ١٩٠ ، والإصابة في تمييز الصحابة ، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٥٢ ، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٥١ .

(٤) الكشـف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٩ ، ١٧٠ ، والكشاف ٢/ ٣٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٩ .

قال أبو إسحاق : «كان المشركون سألوا النبي ﷺ بمشورة اليهود عن قصة أصحاب الكهف ، وعن الروح ، وعن هذين الرجلين فأعلمه الله الجواب ، وإنه مثل له ﷺ وللكفار ، ومثل لجميع مَن آمن بالله ، وجميع مَن عَنَدَ عنه وكفر به»[١] .
فقال : ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾ منصوب[٢] على معنى المفعول .

وقوله تعالى : ﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ﴾ .الحفُّ : الإطافة بالشيء ، يقال : حفَّ القوم بسيدهم يَحُفُّون بضم الحاء إذا أطافوا به وعكفوا[٣] ، ومنه قوله :﴿حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الزمر :٧٥] . والمعنى : جعلنا النخل مطبقاً بها .﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا﴾ ؛ أي بين الجنتين ﴿زَرۡعٗا﴾ .ثم أخبر أنهما كاملتان في مادة حملهما وأعنابهما ، والزرع الذي بينهما .

٣٣. فقال : ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ .ذكرنا الكلام في (كلا) عند قوله : ﴿أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء :٢٣] ، وأمَّا ﴿كِلۡتَا﴾ فذهب سيبويه إلى أنها فعلى بمنزلة الذكرى ، وأصلها كلوى ، فأبدلت الواو تاء كما أبدلت في أنحت وبنت[٤] . والذي يدل على أن لام (كلتا) معتلة قولهم في مذكرها : كِلَى ، وكِلَى فِعَل ، ولامه معتلة بمنزلة لام حِجَى وَرِضَى ، وهما من الواو لقولهم : حَجَى يَحْجُو ، والرضوان ، ولذلك مثلها سيبويه بما اعتلت لامه فقال : «هي بمنزلة شروى»[٥] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٤ .
(٢) في (ص) : (رجلين منصوب) .
(٣) انظر : تهذيب اللغة (حف) ١/ ٨٦٩ ، والصحاح (حف) ٤/ ١٣٤٤ ، والقاموس المحيط (حف) ٨٠١ ، ولسان العرب (حفف) ٢/ ٩٣٠ .
(٤) الكتاب لسيبويه ٣/ ٣٦٤ .
(٥) الكتاب لسيبويه ٣/ ٣٦٤ .

وأمَّا أبو عمرو الجرمي فذهب إلى أنها معتلة وأن التاء فيها علامة تأنيثها[١] . وخالف سيبويه ، وشهد بفساد هذا القول أن التاء لا تكون علم تأنيث الواحد إلَّا وقبلها فتحة ، مثل : حَمْزَة وطلحة وقاعدة ، أو تكون قبلها ألف نحو : سعلاة وعزهاة ، واللام في كلتا ساكنة كما ترى . ووجه آخر : أن علامة التأنيث لا تكون أبداً وسطاً ، إنما تكون آخراً لا محالة ، وكلتا اسم مفرد يفيد معنى التثنية فلا يجوز أن يكون علامة تأنيثه التاء ، وما قبلها ساكن ، وأيضاً فإن فعلى مثال لا يوجد في الكلام أصلاً ، فيحمل هذا عليه ، فإن سميت بـ (كلتا) رجلاً لم تصرفه في قول سيبويه معرفة ولا نكرة ؛ لأن ألفها للتأنيث بمنزلة ألف ذكرى ، وتصرفه نكرة في قول أبي عمرو ؛ لأن أقصى أحواله عنده أن يكون كتائهة وقاعدة وعزة وحمزة[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ قال الأخفش : «جعل الفعل واحداً ولم يقل : آتتا ؛ لأنه جعل ذلك لقوله : ﴿كِلْتَا﴾ في اللفظ ، ولو جعله على معنى قولك : كلتا ، لقال : آتتا»[٣] . ونحو هذا قال الزجَّاج[٤] . ومعنى ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ صاحبها أكلها ؛ أي أدت إليه ريعها تاماً من غير نقصان ، وهو قوله : ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ قال ابن عباس والمفسرون : «لم تنقص منه شيئاً»[٥] . يقال : ظلمهُ حقه إذا نقصه ، وقد مر . ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ ؛ أي أنبطنا[٦] وأخرجنا ﴿خِلَلَهُمَا﴾ وسط الجنتين ﴿نَهَرًا﴾ ،

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٣ ، والدر المصون ٧/ ٣٣٦ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٧٤ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٦/ ١٢٣ ، والدر المصون ٧/ ٣٣٦ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٧٤ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ١/ ٦١٩ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٥ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٤٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٠٣ .

(٦) النبط : الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت . انظر : تهذيب اللغة (نبط) ٤/ ٣٤٩٧ ، والقاموس المحيط ٦٨٩ ، ومعجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٨١ .

أخبر أن شربهما كان من ماء نهر ، وهو مـن أعذب الشرب . والكلام في التفجير والخلال قد مر في سورة بني إسرائيل[١] .

٣٤. وقوله تعـالى : ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ ؛ أي كان لـلأخ الكافر أموال كثيرة ، قال ابـن عباس في رواية علي بن أبي طلحـة في قوله : ﴿ثَمَرٌ﴾ يقول : «مال»[٢] . وقال مجاهد : «ذهب وفضة»[٣] . وقال قتادة : «يقول ومن كل المال»[٤] .

واختلف القـرَّاء في قوله : ﴿ثَمَرٌ﴾ على ثلاثة أوجه : ثُمُـر بضم الثاء والميم وهو قراءة أكثر القرَّاء ، وقرأ أبو عمرو : بضم الثاء وسكون الميم ، وقرأ عاصم : بفتحهما[٥] .

قال الليـث : «الثَّمَر : حمل الشـجر»[٦] . والثُّمُر أنواع المـال ، يقال : أثمر الرجـل ؛ إذا كثر ماله ، وثَمَّـر الله مال فلان ؛ أي كثره . وروى الفرَّاء بإسـناده عـن مجاهد قال : «ما كان في القرآن من ثُمُر فهو مـال ، وما كان من ثَمَر فهو من الثمار»[٧] .

---

(١) عنـد قولـه تعـالى : ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإسراء : ٩٠ ، ٩١] .

(٢) جامع البيـان ١٥/ ٢٤٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٠٨ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ٩٣ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٤٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧١ ، والكشاف ٢/ ٣٩٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٠٣ .

(٤) جامع البيـان ١٥/ ٢٤٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٠٨ ، والنكت والعيـون ٣/ ٣٠٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٥ .

(٥) قرأ أبو عمرو البصري (ثُمْر) بضم الثاء وسـكون الميم ، وقرأ عاصم ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح الثاء والميم ، وقرأ الباقون (ثُمُر) بضم الثاء والميم . انظر : الحجة للقراء السـبعة ٥/ ١٤٢ ، والسبعة ٣٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٤ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣١٠ .

(٦) تهذيب اللغة (ثمر) ١/ ٤٩٨ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٤ .

وقال ابن زيد : «الثُّمُر الأصل ، والثَّمَرة ما يجتنى من ذي الثمر»[١] . ويجمع ثَمَرَات مثل : رَقَبَة ورَقَبات ، قال الله تعالى : ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ﴾ [النحل :٦٧] ، وثِمَار أيضاً مثل : رِقَاب في جمع رَقَبَة ، ويجوز أن يُكسَّر ثَمَار على ثُمُر ككِتَاب وكُتُب ، ويجوز في جمع ثَمَرَة وجهان آخران : ثِمار مثل : بَقَرة وبَقَر ، وثُمْر أيضاً كبَدَنة وبُدْن وخَشَبَة وخُشْب .

فقراءة أبي عمرو بالتخفيف تحتمل ثلاثة أوجه ؛ أحدها : أن يكون جمع ثِمَار ، فخفِّف نحو كتُب في جمع[٢] كِتَاب . الثاني : أن يكون جمع ثمرة مخفف نحو خُشْب جمع في[٣] خَشَبَة . الثالث : أن يكون ثُمُر واحد مثل ثَمَر فخفف نحو[٤] عُنُق وطُنُب . فعلى أي هذه الوجوه كان ، جاز إسكان العين[٥] وساغ[٦] .

وأمَّا قراءة العامة بضمتين ؛ فلأن أهل اللغة فرَّقوا بين الثُّمُر والثَّمَر فقالوا : الثَّمَر المال ، والثُّمُر المأكول . وأكثر المفسرين على أن الثَّمَر هاهنا : الأموال ، وعلى قول ابن زيد الثُّمُر : الأصول التي تحمل الثمرة لا نفس الثمرة . وهذه القراءة أقوى الوجوه لقوله : ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ ؛ أي في الجهة ، والنفقة إنما تكون على ذوات الثمر في أغلب العرف[٧] . وقال أبو إسحاق : «الثُّمُر هاهنا أحسن ؛ لأن قوله : ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ قد دل على الثَّمَر»[٨] .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٤٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٥ .

(٢) قوله : (في جميع) :ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٣) كلمة (في) :ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٤) كلمة (نحو) ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٥) في (س) : (العنق) .

(٦) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٤٣ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٤٣ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٥ .

وحكي عن أبي عمرو أنه قال : «الثَّمَر والثُّمُر أنواع المال»[١] . وهو المراد في هذه الآية ، لا الثمرة التي تُجنى ، دلَّ على هذا قوله : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أي أهلك جنته وماله وأصول نخله وشجره ، وإذا كان كذلك فمَن قرأ : بثُمْره وثُمُره كان قوله أبين ، وأمَّا قراءة عاصم في قوله : ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ يعني ثَمَر[٢] نخله وكرمه ، فليس بالجيد[٣] ؛ لأن هذا قد فُهم من قوله : ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ وفي قوله : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ كأنه أخبر عن بعض ما أصيب وأمسك عن بعض ، وقراءة الباقين في قوله : «وأحيط بثمره» جيدة عامة في الثَمَرة والأصول ؛ لأنه لا يكون أن يصاب الأصل ولا يصاب الثمرة .

وقال محمد بن سلام : «قال سلام أبو المنذر القارئ[٤] : من قرأ : «ثَمَر» قال : من كل المال ، ومن قرأ : «ثُمُر» فهو جمع ثَمَره . فأخبرت بذلك يونس فقال : هما سواء»[٥] .

وهذا على أنه جعل الثُّمْر جمع ثَمَرة ، كما ذكرنا في خَشَبَة وخُشب ، والصحيح الفرق بين القراءتين على ما ذكرنا .

---

(١) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٤٣والبحر المحيط ٦/ ١٢٥ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٢٥ .

(٢) قوله : (ثمر) :ساقط من الأصل .

(٣) قول المؤلِّف غفر الله له : «فليس بجيد» ليس بجيد ؛ فإن أراد القراءة فهي سبعية ثابتة عن النبي ﷺ ، ولا يجوز ردها ولا تضعيفها ، وإن أراد المعنى فقد وافقت وجهاً صحيحاً من أوجه اللغة العربية .

(٤) سلام بن سليمان المزني البصري أبو المنذر ، المُقْرئ ، عالم باللغة والنحو والقراءات ، من علماء خرسان ، قرأ على عاصم الجحدري ، وروى عن الحسن ، ومطر الوراق ، وثابت وغيرهم ، وقرأ عليه يعقوب الحضرمي ، وكان صدوقاً ، صالح الحديث ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٧١هـ . انظر : الجرح والتعديل ٤/ ٢٥٩ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٨٤ ، والكاشف ١/ ٤١٣ ، وميزان الاعتدال ٢/ ١٧٧ ، وغاية النهاية ١/ ٣٠٩ ، ومعرفة القرَّاء الكبار ١/ ١٣٢ .

(٥) تهذيب اللغة (ثمر) ١/ ٤٩٨ .

والثُّمُـــر في جمع الثَّمَرة صحيح ، غـــير أن الثُّمُر هاهنـــا الأولى أن يحمل على الأموال كما بينا[١] .

وقوله تعالى : ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ .قال ابـــن عباس : «يريد لأخيه»[٢] . ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ ؛ أي يراجعه في الكلام ويجاوبه .

قال ابن عباس : «وذلك أنه ســـأله عن ماله في مـــا أنفقه ؟ فقال : قدمته بين يـــدي لأقدم عليه»[٣] ، فقال : ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ .روى أبو عبيد عن أبي زيد : «النفر والرهط ما دون العشرة من الرجال»[٤] .

وقال أبو العبـــاس : «النفر ، والقوم ، والرهط هاهنا معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء»[٥] .

وقال الليـــث : «يقال : هؤلاء عـــشرة نفر ؛ أي عشرة رجـــال ، ولا يقال : عشرون نفراً ، ولا ما فوق العشرة»[٦] .

قال ابن عباس : «يريد كثرة العبيد وعزة فيهم»[٧] .

---

(١) وعـــلى هذا قول أكثر المفسرين . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٤٥ ، وإرشـــاد العقل الســـليم ٥/ ٢٢١ ، والدر المصون ٧/ ٨٠ .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٠٦ من دون نسبة .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ١٧١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٠٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٦ .

(٤) تهذيب اللغة (نفر) ٤/ ٣٦٢٧ ، ولسان العرب (نفر) ٨/ ٤٤٩٨ .

(٥) تهذيب اللغة (نفر) ٤/ ٣٦٢٧ ، ولسان العرب (نفر) ٨/ ٤٤٩٨ .

(٦) تهذيب اللغة (نفر) ٤/ ٣٦٢٧ .

(٧) ذكرت نحوه كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٤٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٣ .

وقال الزجَّاج : «أخبر أن ناصره كثير»[١] . وقال قتادة في هذه الآية : «تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر ، وهم الخدم والحشم»[٢] . وقال مقاتل : «يعني ولداً»[٣] . دليله قوله : ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ .وقال المفسرون : «يعني عشيرة ورهطاً»[٤] . ومنه قول امرئ القيس[٥] :

مالُهُ لا عُدَّ مِنْ نَفَرِهْ

أي من رهطه وعشيرته .

٣٥. قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ .[قال المفسرون : «أخذ بيد أخيه المسلم فأدخله جنته][٦] يطوف به فيها ، ويريه إياها ويعجبه منها»[٧] . وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ .قال ابن عباس : «يعني خارجاً عن الإيمان إلى الكفر بالله»[٨] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٥ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٤٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧١ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٩٣ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، وتفسير البغوي ٥/ ١٧١ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٧٥ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٧١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٥ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٧٥ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٢٥ .

(٥) هذا عجز بيت لامرئ القيس يصف رجلًا بجودة الرمي ، وصدره :

فهوُ لا تَنمي رَمِيَّتُهُ

لا عد من نفره : دعاء له يوهم الدعاء عليه ، وهو كقولهم : ما له قاتله الله . انظر : ديوان امرئ القيس ٧٦ ، ولسان العرب (نفر) ٨/ ٤٤٩٩ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ١٧١ ، والكشاف ٢/ ٣٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٤ .

(٨) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٤٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣١٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧١ ، والكشاف ٢/ ٤٨٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٤٢ ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان :١٣] .

قال الزجَّاج : «وكل من كفر بالله فنفسه ظلم ؛ لأنه يولجها النار ، وأي ظلم للنفس فوق هذا ؟»[١] .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ ؛ أنكر أن الله - تعالى - يفني الدنيا ، لمَّا رأى ما راقه وكبر في نفسه ، وتوهم بجهله أنه يدوم ، وأن مثله لا يبيد ولا يفنى .

٣٦. قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ .قال ابن عباس : «أنكر البعث والثواب والعقاب»[٢] .

وقال أبو إسحاق : «أخبر أخاه بكفره بالساعة ، وبكفره بفناء الدنيا»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ الآية . قال ابن عباس : «يريد إن كان البعث حقاً»[٤] ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ ؛ يريد : كما أعطاني هذا في الدنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منه لكرامتي عليه[٥] .

وقال أهل المعاني : «هذا يدل على أن صاحبه المؤمن قد أعلمه أن الساعة تقوم ، وأنه يبعث ، فأجابه بأن قاله له : إن كان الأمر على ما أعلمتني أني أبعث ؛

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٥ .

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٤٦ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٦٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣١٢ ، ٣١٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧١ ، وزاد المسير ٥/ ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٥ .

(٤) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٤ بلا نسبة .

(٥) ما تضمَّنته هذه الآية من جهل الكفار واغترارهم بالحياة الدنيا جاء مبيناً في آيات أُخر ، منها الآية ٥٠ من سورة فصلت : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ .

ليعطيني في الآخرة خيراً مما أعطاني في الدنيا ؛ لأنه لم يعطني هذا في الدنيا إلَّا وهو يريدني»[(١)] .

وقال ابن زيد : «شك ، ثم قال على شكه في الرجوع إلى ربه : ما أعطاني هذا إلَّا ولي عنده خير منه»[(٢)] ، تهكماً سولته له نفسه .

واختلفوا في قوله : ﴿مِّنْهَا﴾ فقرؤوا بالإفراد والتثنية[(٣)] . والإفراد أولى من حيث كان أقرب إلى الجنة المفردة في قوله : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ ، والتثنية لا تمتنع لتقدم ذكر الجنتين .

٣٧. فأجابه صاحبه مكفراً له بهذا القول فقال : ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ .قال ابن عباس : «يريد أن آدم خلق من تراب»[(٤)] . ثم ولده من نطفة ، وإذا كان أبوه من تراب فهو من تراب ، ومعنى النطفة في اللغة : الماء ، يقال : في القربة نطفة من ماء[(٥)] . ولا فعل للنطفة .

قال الأزهري : «والعرب تقول للماء القليل والكثير : نطفة»[(٦)] . وسمى الله - عز وجل - المني نطفة قال : ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة :٣٧] .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٧٢ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٦ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٤٧ .

(٣) قرأ أبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿خَيْرًا مِّنْهَا﴾ بالإفراد ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر (خيراً منهما) بالتثنية . انظر : السبعة ٣٩٠ ، والحجة ٥/ ١٤٤ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٤ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والعنوان ١٢٣ .

(٤) ذكره الطبري في جامع البيان ١٥/ ٢٤٧ من دون نسبة ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣١١ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٧٦ ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٥٩] .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (نطف :) ٤/ ٣٦٠ ، ومقاييس اللغة (نطف) ٥/ ٤٤٠ ، والصحاح (نطف) ٤/ ١٤٣٤ ، ولسان العرب (نطف) ٧/ ٤٤٦٢ .

(٦) تهذيب اللغة (نطف) ٤/ ٣٦٠١

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ . قال الكلبي : «جعلك معتد الخلق والقامة ، صحيح اليدين ، والرجلين ، والعينين»[١] . والتسوية : جعل الشيء على المقدار .

وقال الزجَّاج : «أي ثم أكملك»[٢] . وهذا الجيد في تفسير سواك هاهنا ؛ لأن العرب تقول للغلام إذا تم شبابه : قد استوى ، ومنه قوله : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص :١٤] ؛ أي تم شبابه واجتمع ، فالتسوية هاهنا : واقع الاستواء بالمعنى الذي ذكرنا ، يقال : سواه الله رجلاً فاستوى .

٣٨. ثم أعلمه صاحبه أنه موحد لله فقال : ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ وأصله : لكن أنا ، كما هو في قراءة أُبي[٣] ، فخفف الهمزة التخفيف القياسي ، وألقى حركتها على النون فصار لكننا ، فاجتمع المثلان ، فأدغموا المثل الأول في الثاني بعد أن أسكنوها ، فصار في الدرج : لكنا هو الله ، فلم تثبت ألف أنا في الوصل ، كما لم تثبت الهاء في الوصل في نحو : إِرْمه ، وأُغزه ، و﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة :١٩] ، و﴿حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة :٢٠] ؛ لأنها إنما تلحق في الوقف لتبين[٤] الحرف الموقوف عليه ، فإذا وقف على ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أثبت الألف في الوقف ، كما تثبت الهاء في الوصل ، وإذا لم يقف حذفها ، هذا وجه قراءة العامة[٥] .

---

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير بلا نسبة . انظر : إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٧ ، وروح البيان ٥/ ٢٤٧ ، وفتح القدير ٣/ ٤٠٩ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٦ .

(٣) المحتسب ٢/ ٢٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣١١-٣١٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٨ ، والدر المصون ٧/ ٤٩٣ .

(٤) في الأصل : (ليس) ، وهو تصحيف .

(٥) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ﴾ بإسقاط الألف في الوصل ، وإثباتها في الوقف . انظر : الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٤٥ ، والعنوان في القراءات ٣٠٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٦١ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣١١ .

ومثل هـذه القراءة في الإدغام ما حـكاه أبو زيد في قول مَن سـمعه يقرأ : ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج :٦٥] «يريـد : على الأرض ، لكنـه خفف الهمـزة ، وألقى حركتها عـلى لام المعرفة فصـار : (على الرض) ، فاجتمع لامـان مثلان فأدغم الأول في الثاني»[١] . وهـذا كله في إجراء المنفصل مجرى المتصل في نحو : شدَّ ، وحلَّ .

وقـرأ ابن عامر ، ونافع في روايـة المسـيبي[٢] : ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ بإثبات الألف في الوصل والوقف[٣] . وهذا عـلى إجراء الوصل مجرى الوقف . وهو غير مختار في القراءة . فتكون كقراءة حمزة : (ومكر السـيئ) بالجزم في الوصل[٤] . غير أن أبا علي الفـارسي ذكر وجهاً جيداً لهذه القراءة ، فجعـل النون والألف في ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ الضمير المتصل في نحـو : فعلنا ، ولم يجعله الضمير المنفصل وهو : أنا ، كما ذكرنا في القـراءة الأولى فقال : «أدغم النون من (لكن) لسـكونها في النون من علامة الضمير ، فيكون على هذا في الوصل والوقف ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ بإثبات الألف لا غير ، ألا تـرى أن أحداً لا يحذف الألف في : نحن فعلنا . وعاد الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ، ولو عاد على اللفظ لكان : لكنا هو الله ربنا»[٥] .

---

(١) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٤٥ .

(٢) إسحاق بن محمد بن عبدالرحمن المسيبي ، عالم بالقراءات ، تقدمت ترجمته .

(٣) قرأ ابن عامر الشامي ، ونافع المدني في رواية المسيبي (لكنا هو الله) بإثبات الألف في الوصل والوقف . انظر : السبعة ٣٩١ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٤٥ ، والغاية ٣٠٧ ، والتبصرة ٢٤٩ .

(٤) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمر ، وابن عامر ، والكسائي ، وعاصم (ومكر السيئ) بكسر الهمزة ، وقرأ حمزة ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ سـاكنة الهمزة . انظر : السبعة ٥٣٥ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢١٢ ، والمبسوط في القراءات ٣٠٩ ، والنشر في القراءات ٣/ ٣٥٢ .

(٥) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٤٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

وقال أبو إسحاق في توجيه هذه القراءة : «أثبت الألف في الوصل ، كما كان يثبتها في الوقف ، وهذا على لغة[١] مَن قال : أنا قمت ، فأثبت الألف ، قال الشاعر[٢] :

أَنَا سيفُ العشيرةِ فاعرفوني حَميدٌ قدْ تذرَّيْتُ السَّناما

ثم قال : فأمَّا : ﴿لَٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ فهو الجيد بإثبات الألف ؛ لأن الهمزة قد حذفت من أنا فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة»[٣] . فاختار قراءة ابن عامر على قراءة عامة القرَّاء[٤] .

وردَّ ذلك عليه أبو علي في ما استدرك عليه فقال : «لا أرى ما قاله كما قال ؛ وذلك أن هذه الألف تلحق للوقوف ، ولا يسوغ أن تلحق في الوصل ، ألا ترى أن الهمزة في : ذيل أمه قد حذفت حذفاً على غير الحذف الذي توجه قياس التخفيف ، ولم يعوض منها ، فأن لا يعوض منها في التخفيف القياسي أجدر ؛ لأنها في هذا الوجه في تقدير الثبات ، ولولا ذلك لم يحرك حرف اللين ، كقولهم : جيل في تخفيف جيأل ، فلما كانت في تقدير الثبات لم يلزم منها بدل . ومما يؤكد أن العوض لا يجب أن (أنا) علامة ضمير ، وعلامات الضمير لا ينكر كونها

(١) في الأصل : (لون) ، وهو تصحيف .

(٢) البيت لحميد بن ثور . قد تذريت السنا : علوت ذروته ، وبلغت غاية المجد . والشاهد فيه : ثبوت ألف أنا في الوصل . انظر : ديوانه ١٣٣ ، وأساس البلاغة ١/ ٢٩٨ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٧ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٤٦ ، وشرح المفصل ٣/ ٩٣ ، والمنصف ١/ ١٠ ، والإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٥٧ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٦ .

(٤) قال الزجَّاج في معانيه ٣/ ٢٨٨ : «والأجود اتباع القرَّاء ، ولزوم الرواية ، فإن القراءة سُنَّة ، وكلما كثرت الرواية في الحرف وكثرت به القراءة فهو المتبع ، وما جاز في العربية ولم يقرأ به قارئ فلا تقرأن به فإن القراءة به بدعة ، وكل ما قلَّت فيه الرواية وضعف عند أهل العربية فهو داخل في الشذوذ ، ولا ينبغي أن تقرأ به» .

على حـــرف أو حرفين ، بل ذلك الأغلب من أحوالهـــا والأكثر ، وأيضاً فلو جاز أن تثبت الألف التي حكمهـــا أن تلحق في الوقف دون الوصل للحذف اللاحق للحرف ، للزم أن تثبت الهاء التي تلحـــق في الوقف [أيضاً إذا لحق كلمة محذوفة منها نحو : عه ، وشـــه ، وارمه ، واغزه ، فتثبت][(١)] في هذا الضرب ليكون عوضاً من المحذوف من الكلمة ، فإذا لم يجز هذا أحد فالأول كذلك لا فصل»[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿هُوَ﴾ من ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ ضمير علامة الحديث والقصة ، كما أن قولـــه : ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنبيـــاء :٩٧] وقوله : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١] كذلك ، ويسمى هذا الضمير على شريطة التفسير ، وقد مضت هذه المســـألة مشروحة عند قوله : ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ﴾ [يوســف :٧٧] . وهذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر ، فيصير المبتدأ والخبر في موضع خبره .

وقوله تعالى : ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ قال أبو إســـحاق : «دل خطابه على أن صاحب الجنتين مشرك عابد مع الله غيره»[(٣)] . وهذا من أبي إسحاق قول بمفهوم الخطاب .

٣٩. ثم أقبل على أخيه يلومه فقال : ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ بمعنى : هلَّا ، وتأويله التوبيـــخ . ﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذكر الفـــرَّاء والزجَّاج في ﴿مَا﴾ وجهين :

أحدهما : أنه في موضع رفع على معنى : الأمر ما شـــاء الله ، أو : هو ما شـــاء الله . والمعنى : أن الأمر بمشيئة الله ، وفي هذا رد على الأخ الكافر ، حيث قال حين

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .
(٢) الإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٥٩ .
(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٦ .

دخـــل جنته : ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ فرد عليـــه الأخ المؤمن وقال : هلَّا قلت حين دخلتها : الأمر بمشيئة الله وما شاء الله كان .

الوجه الثاني : أن ﴿مَا﴾ في موضع نصب بـ(شاء) على معنى الشرط والجزاء ، ويكون الجواب مضمراً على تقدير : ما شـــاء الله كان . ويكون التأويل : أي شيء شـــاء الله كان ، فطرحـــت كان وأضمرته ، وجاز طرح الجـــواب كما قال : ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا﴾ الآية [الأنعام :٣٥] .ليس له جواب ؛ لأن معناه معروف[١] .

وقولـــه تعـــالى : ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ .قـــال أبو إســـحاق : «أي لا يقوى أحد على ما في يديـــه من ملك ونعمة إلَّا بالله ، ولا يكون له إلَّا ما شـــاء الله»[٢] . قال ابن عباس : «ثم رجع إلى نفســـه»[٣] . فقال : ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ . قال الفـــرَّاء : «﴿أَنَا۠﴾ إذا نصبت ﴿أَقَلَّ﴾ عماد ، وإذا رفعت ﴿أَقَلَّ﴾ فهي اســـم ، والقراءة بهما جائزة»[٤] ، هذا كلامه[٥] .

وقال أبو إسحاق بياناً فقال : «﴿أَنَا۠﴾ يصلح لشيئين : إن شئت كانت توكيداً للنون والياء ، وإن شئت كانت فصلاً ، كما تقول : كنت أنت القائم[٦] . و﴿أَقَلَّ﴾ منصوب مفعـــول ثانٍ لـ(تـــرن) ، ويجوز رفعـــه على أن يكـــون ﴿أَنَا۠﴾ ابتداء ، و﴿أَقَلَّ﴾ خبره ، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ(ترن)»[٧] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٤٥ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٨ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٠ .

(٣) ذكر نحوه السمرقندي بلا نسبة في بحر العلوم ٢/ ٣٠٠ ، والرازي ٢١/ ١٢٧ .

(٤) قراءة النصب للجمهور . وقراءة الرفع لعيسى بن دينار ، وهي قراءة شاذة لا يقرأ بها . انظر : الكشاف ٢/ ٣٩١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٩ ، والدر المصون ٧/ ٤٩٦ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٥ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٨ .

(٧) إمـــلاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٤٩٩ ، ومشـــكل إعـــراب القرآن ٢/ ٤٤٢ ، وإعـــراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

٤٠. قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ﴾ .قال ابن عباس: «يريد في الآخرة»[١].

قال الزجَّاج: «وجائز أن يكون أراد في الدنيا»[٢].

﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ .قال ابن عباس في رواية عطاء: «ناراً من السمَاء»[٣]. وهو قول الكلبي[٤].

وقال قتادة والضحاك: «عذاباً»[٥]. وقال ابن زيد: «قضاء من أمر الله يقضيه»[٦]. هذا كلام المفسرين في تفسير الحسبان، [وذلك كله معنى، وليس بتفسير. وتفسيره ما ذكره أهل اللغة، قال الأخفش: «الحُسْبَان][٧] المرامي، واحدتها حُسْبَانة»[٨].

وقال ابن الأعرابي مما روى عنه ثعلب من رواية أبي عمرو: «أراد بالحسبان المرامي، قال: والحُسْبَانة: السحابة، والحُسْبَانة: الصاعقة»[٩].

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٩/ ٣١٥ بلا نسبة، والماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٠٧.

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٠.

(٣) معالم التنزيل ٥/ ١٧٣، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٧، والدر المنثور ٤/ ٤٠٦.

(٤) بحر العلوم ٢/ ٣٠٠، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٤، والدر المنثور ٤/ ٤٠٦، والبحر المحيط ٦/ ١٢٩.

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٤٩، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٣، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٧، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٤.

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٤٩، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩/ ب، والبحر المحيط ٦/ ١٢٩.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

(٨) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٩٨، وتهذيب اللغة (حسب) ١/ ٨١١.

(٩) تهذيب اللغة (حسب) ١/ ٨١١، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٨.

وقال النضر : «الحُسْبَانُ : سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة ينزع القوس ثم يرمي بعشرين منها دفعة ، فلا تمر بشيء إلَّا عقرته من صاحب سلاح وغيره ، فإذا نزع في القصبة خرجت الحُسْبَان كأنها غيثة مطر ، فتفرقت في الناس ، واحدها حُسْبَانَة ، قال : والمرامي مثل المسالِّ دقيقة فيها شيء من طُول لا حُروف لها»[١] . ونحو هذا قال أبو عبيدة ، وابن قتيبة ، وكل أهل اللغة[٢] . والمعنى في هذه الآية : أن يرسل عليها عذاب حسبان ، وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك[٣] . فجعل الآية من باب حذف المضاف ، وجعل الحسبان بمعنى حساب ذنوبه ، قال الأزهري : «الذي قاله الزجَّاج بعيد ، والقول ما قاله الأخفش وابن الأعرابي والنضر . والمعنى- والله أعلم - : أن الله يرسل عليها مرامي من عذابه ، إمَّا بَرَداً ، وإمَّا حِجَارة أو غيرهما مما يشاء»[٤] . وقول المفسرين يوافق قول أهل اللغة ؛ لأن ما قالوه لا يخرج عن أن يكون مرامي .

وقال أهل المعاني : «إنما سُمِّي المرامي حُسبَانا ؛ لأنها تكثر كثرة الحسبان»[٥] .

وذكرنا الحسبان بمعنى الحساب في تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام :٩٦] .

---

(١) تهذيب اللغة (حسب) ١/ ٨١١ ، ولسان العرب (حسب) ٢/ ٨٦٧ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٤٠٣ ، وتفسير المشكل من غريب القرآن ١٤٣ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٢/ ٢٩٠ ، والقرطبي ١٠/ ٤٠٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢٩ .

(٤) تهذيب اللغة (حسب) ١/ ٨١١ .

(٥) تهذيب اللغة (حسب) ١/ ٨١١ ، ولسان العرب (حسب) ٢/ ٨٦٧ .

وقوله تعالى : ﴿فَنُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ .قال ابن عباس : «أرضاً لا نبات فيها» . وهو قول الكلبي وغيره[١] . والزَّلق في اللغة : المكان المزلق ، ومنه قول الشاعر[٢] :

فمَنْ علا زلقاً عنْ غِرَّةٍ زلقا

والذي في الآية ليس من هذا ؛ لأنه ليس أنها تصير مزلقة ، ولكن معناه : أنها تصير جرداء لا نبات بها ، من قولهم : زَلَقَ رأسه ، وأَزْلَقه ، وزَلَقه إذا حلقه ، والزَّلْق : الحَلْق ، والزّلَق : المحلوق ، كالنَّقْض والنَّقَض ، فشبه الصعيد الذي لا نبات فيه بالرأس المحلوق[٣] . قال الفرَّاء : «الزَّلَق التراب الذي لا نبات فيه»[٤] . وقال قتادة : وفي قوله : ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ يقول : «قد حصد ما فيها فلم يُتْرَك فيها شيءٌ»[٥] . وذهب ابن قتيبة إلى الإملاس فقال : «الزَّلق : الإملاس الذي تزل عليه الأقدام»[٦] . وهذا الذي ذكره هو الأصل من أن المراد : ذهاب النبات لا الإملاس . والمعنى : أن هذا العذاب يهلكها ويبطل غلتها .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٤٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤٠٧ .

(٢) هذا عجز بيت لابن يسير ، وصدره :

اقدرْ لرجلكَ قبلَ الخطوِ منزلَها

انظر : الكامل في اللغة للمُبرِّد ٤/ ١٢٧ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (زلق) ٢/ ١٥٥٠ ، ومقاييس اللغة (زلق) ٣/ ٢١ ، والقاموس المحيط (زلق) ٨٩١ ، والصحاح (زلق) ٤/ ١٤٩١ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٥ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٤٩ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، والدر المنثور ٤/ ٤٠٧ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٧ .

٤١. قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾. قال ابن عباس: «يعني النهر الذي من خلالها»[(١)(٢)]. ﴿غَوْرًا﴾ يقال: غَارَ الماء في الأرض، يَغُور غَوراً، أو غووراً إذا ذهب، وغَارَت العين في الرأس فهي غائرة[(٣)].

وفي قوله: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ وجهان أحدهما: ذا غور فحذف المضاف[(٤)]. والثاني: وهو قول جميع أهل المعاني: أن الغور هاهنا بمعنى: الغائر، أقيم المصدر مقام الصفة للمبالغة، كما يقال: وجه فلان نور ساطع، وعلى هذا يقال: ماء غَوْرٌ، ومياه غُورٌ، كما يقال: رجل عدل[(٥)]. قال الشاعر[(٦)]:

وجاوبي نوحاً قياما

يريد[(٧)]: نساء نائحات قائمات، فوصفهن بالمصدر. وقال قتادة في قوله: ﴿غَوْرًا﴾ يقول: «ذاهباً قد غار في الأرض»[(٨)].

---

(١) في نسخة (ص): (في جلالها)، وهو تصحيف.

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: النكت والعيون ٣/ ٣٠٧، والبحر المحيط ٦/ ١٢٩، وفتح القدير ٣/ ٢٦٢٠.

(٣) تهذيب اللغة (غار) ٨/ ١٨٤، والقاموس المحيط (الغور) ٤٥٢، والصحاح (غور) ٢/ ٧٧٤، ولسان العرب (غور) ٦/ ٣٣١٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٩، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٧.

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٤٩، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٩، والبحر المحيط ٦/ ١٢٩، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٣، ومعاني القرآن للزجّاج ٣/ ٢٩٠، وغريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٧.

(٦) هذا جزء من عجز بيت ذكرته كتب التفسير بلا نسبة، والبيت:

هَريقي منْ دموعهما سَجاما ... ضباع وجاوبي نوحاً قياماً

انظر: جامع البيان ١٥/ ٢٤٩، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٩، وذكره ابن منظور في لسان العرب (نوح) ٨/ ٤٥٧٠ برواية أخرى نسبها إلى ثعلب، فقال:

سمعنَ بموتِهِ فظهرنَ نوحاً ... قياماً ما يحلُّ لهنَّ عُودُ

(٧) في (س): (يعني).

(٨) جامع البيان ١٥/ ٢٥٠، وذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب.

وقولــه تعالى : ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ ؛ أي لا يبقــى له أثر يطلبه به . وقال الكلبي : «لن تستطيع له حيلة»[١] .

٤٢. قوله تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ ؛ معنى (أحيط) هاهنا : أهلك ؛ أي أحاط العذاب بثمره ، كما يحيط القــوم بعدوهم فيهلكونهم عن آخرهم[٢] .
وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة :٨١] .

وقوله تعالى : ﴿بِثَمَرِهِۦ﴾ .قال ابن عباس : «بأشــجار الثمــر والنخل»[٣] .
وذكرنا الكلام واختلاف القرَّاء في هذا عند قوله : ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الكهف :٣٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ .قال ابن عباس : «يضرب يديه واحدة على الأخرى ندامة»[٤] . وقال الكلبي : «يصفق بالواحدة على الأخرى ندماً»[٥] .

وقال أبو عبيدة ، والزجَّاج ، والمفضل ، وابن قتيبة : «يقال : فلان يقلب كفيه على ما فاته . وتقليب الكفين يفعله النــادم كثيراً ، والعرب تقول للرجل إذا ندم عــلى الشيء وجعل يفكر فيه : يقلب يديه وكفيه ؛ لأن ذلك يكثر من فعله . فصار تقليب الكف عبارة عن الندم كعض اليد»[٦] . قال الشاعر[٧] :

كــمــغــبــونٍ يــعــضُّ على يــديهِ يُقلِّــبُ كفَّــهُ بعــدَ الســباعِ

---

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٠ بلا نسبة ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٠٩ .
(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٥٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٣ ، والكشاف ٢/ ٣٩١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٠ .
(٣) ذكرته كتب التفســير من دون نســبة . انظــر : معالم التنزيــل ٥/ ١٧٣ ، والجامع لأحــكام القرآن ١٠/ ٤٠٩ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٠٩ .
(٤) ذكرته كتب التفســير من دون نسبة . انظر : الكشــف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٣ .
(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٣ ، ونسباه إلى قتادة .
(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٩ ، وتفســير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٨ ، وتفســير المشــكل من غريب القرآن ١٤٤ .
(٧) لم أهتدِ إلى قائله .

وقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ .يقال : أنفقت في هذه الدار ، وفي هذا الثوب كذا وكذا ، وأنفقت عليها أيضاً ، فيجوز أن يكون هاهنا بمعنى : على ، كقوله : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه :٧١] .

وقوله تعالى : ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ .ومضى الكلام في هذا مستقصى في سورة البقرة[١] . والعروش في هذه الآية تعم سقوف الأبنية ، وما عُرِش للكروم . يريد : أنها ساقطة على سقوفها ، خالية من عريشها[٢] . وقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ ؛ تمني منه حين لا ينفعه التمني . أخبر الله تعالى أنه سلبه ما أنعم عليه في الدنيا ، فندم حين لم ينفعه الندامة ، وتمنى أنه كان موحداً غير مشرك .

٤٣. قوله تعالى : ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ .قال ابن عباس : «لم ينصره النفر الذين افتخر بهم في قوله : ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾»[٣] .

قال الفرَّاء والزجَّاج : «﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ محمول على معنى الفئة ، ولو حمل على لفظها لقيل : تنصره ، كما قال : ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ ﴾ [آل عمران :١٣]»[٤] . ﴿ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ بأن يسترد بدل ما ذهب منه . قال الزجَّاج : «وما كان هو أيضاً قادر على نصرة نفسه»[٥] .

---

(١) عند قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة :٢٥٩] .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٧٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣١٦ ، والكشاف ٢/ ٣٩١ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٥٠ ، ٢٥١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٠ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٤ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٨٤ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٥ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٩ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٩ .

وقال قتادة : «وما كان ممتنعاً»[١] . وقد تمت هاهنا قصة الأخوين ، وضربت مثلاً للمؤمن مع الكافر ، فالكافر تغره دنياه ، ويتبجح بها ، ويظن أنها تبقى له ، والمؤمن يصبر على نوائبها احتساباً من الله - تعالى - جميل الأجر وجزيل الذخر ، ولا يركن إليها لما يعلم من فنائها . وقبل ذكر قصة الأخوين ذكر الله تعالى ما أعد للكافرين في قوله : ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف :٢٩] إلى آخر الآية ، وما أعد للمؤمنين في قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف :٣٠-٣١] الآيتان .

٤٤. ثم عاد الكلام إلى ما قبل القصة فقال : ﴿هُنَالِكَ﴾ قال الكلبي : «يقول عند ذلك ، وهو يوم القيامة»[٢] .

وذكرنا عند[٣] قوله : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران :٣٨] أنه يجوز أن يشار بهنالك إلى المكان ، وإلى ما مضى من الزمان .

وقوله تعالى : ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ .أكثر القرَّاء على فتح الواو[٤] ، والولاية : نقيض العداوة ، ومعناها التولي ، وهو مصدر الوَلِيِّ[٥] . وروي عن أبي عمرو ، والأصمعي أنهما قالا : «الولاية بالكسر هاهنا لحن[٦] ، والكسر في فعالة يجيء في ما كان صنعة

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٥١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٠٧ .

(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٠٩ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٠ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي ١٠/ ٤١١ .

(٣) قوله : (عند) :ساقط من الأصل .

(٤) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وأبو عمر ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواو ، وقرأ حمزة ، والكسائي (الولاية) بكسر الواو . انظر : السبعة ٣٩٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٤٩ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والعنوان ١٢٣ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ولى) ٤/ ٣٩٥٥ ، ومقاييس اللغة (ولى) ٦/ ١٤١ ، ولسان العرب (ولى) ٨/ ٤٩٢٠ .

(٦) قولهما : «أن الكسر هنا لحن» هو قول لا يعول عليه ؛ لأنه مخالف لقراءة سبعية ثابتة عن النبي ﷺ ، والقراءة الثابتة حجة على اللغة ، فلا يجوز ردها أو تضعيفها ، وإن الفتح والكسر هنا جائز عند أكثر أهل اللغة .

نحو : الخياطة والصناعة[١] ، أو معنى متقلداً كالكتابة والإمارة والخلافة ، وليس هنا معنى تولي أمر ، إنما[٢] الولاية من الدين»[٣] . وكذلك التي في الأنفال : ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال :٧٢] . وأمَّا ولاية الأمور فهو بالكسر ، كولاية السلطان ، ومن أهل اللغة مَن يقول : يجوز الفتح في هذه ، والكسر في تلك . كما قالوا : الوِكالة والوَكالة ، والوِصاية والوَصاية بمعنى واحد[٤] .

وقوله تعالى : ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ .مَن كسر القاف جعله من وصف الله سبحانه ، ووصفه بالحق وهو مصدر كوصفه بالعدل وبالسلام[٥] . والمعنى : أنه ذو الحق وذو السلام . وكذلك الإله معناه ذو العبادة ، ويدل على صحة هذه القراءة : ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور :٢٥] ، وقوله : ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[الأنعام :٦٢] ، ويصدقه قراءة عبدالله : «هنالك الولاية لله وهو الحق»[٦] . وقرأ أبو عمرو والكسائي : (لله الحقُّ) بضم القاف[٧] . جعلا الحق من صفة الولاية ، وحجتهما قراءة أُبي : (هنالك الولاية الحقُّ لله)[٨] . ومعنى وصف الولاية بالحق : أنه لا يشوبها غيره ، ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق .

---

(١) في (ص) : (الصياغة) .

(٢) في (س) : (إنما هو الولاية) .

(٣) المحرر الوجيز ٩/ ٣١٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٠ ، والدر المصون ٧/ ٤٩٩ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٤٩ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥٠ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٣٩٩ ، والدر المصون ٧/ ٤٩٨ .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ بالكسر . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٤٩ ، والغاية في القراءات العشر ٣٠٧ ، والتبصرة ٢٤٩ ، والنشر ٢/ ٣١١ .

(٦) انظر : كتاب قراءة عبدالله بن مسعود ، ١٢٤ .

(٧) قرأ أبو عمرو البصري ، والكسائي (لله الحقُّ) بالضم .
انظر : السبعة ٣٩٢ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٤٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٥ ، وحجة القراءات ٤١٨ .

(٨) معالم التنزيل ٥/ ١٧٣ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٨٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣١ .

وأمَّا معنى الآية ، فقال أبو إسحاق : «في تلك الحال بيانُ الولاية لله ؛ أي عند ذلك يتبين وليُّ الله بتولي الله إياه»[١] . قوله : (في تلك الحال) يعني : في حال مجازاة الله الكافر والمؤمن الولاية لله ، على معنى : هنالك يتبين ذلك على ما ذكر . وقال ابن قتيبة : «يريد يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ، ويتبرؤون مما كانوا يعبدون»[٢] . وهذا أظهر من قول الزجَّاج . وذهب غيرهما في معنى الولاية في هذه الآية إلى تولي الأمر ، لا إلى معنى الموالاة ، فقال : «معنى الآية : في ذلك الموطن الذي هو موطن الجزاء لا يتمكن أحد من نصرة أحد ، بل الله – تعالى – يتولى ذلك ، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين ، لا يملك ذلك أحد من العباد ، فالولاية يومئذ تخلص له كما قال : ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة :٤]»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا﴾ .يقول : هو أفضل ثواباً ممن يرجى ثوابه . قال أهل المعاني : «قوله : ﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا﴾ مع أنه لا يثبت إلَّا هو ، على تقدير : لو كان يثبت غيره لكان هو خير ثواباً»[٤] .

وقيل : «هذا على ادعاء الجهال والكفار أنه قد يثبت غير الله»[٥] . ﴿وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ وعُقُبَاً[٦] . وهما لغتان في العاقبة يقال : عُقْب ، وعُقُب ، وعَاقِبَة وعُقْبى ، والعقب لا يكون لله – تعالى – كما يكون الثواب له . ولا يجوز أن يضاف العاقبة إلى الله تعالى ، أو يوصف بالعاقبة ، وإنما المعنى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٨٩ .

(٢) تفسير غريب القرآن ١/ ٢٦٨ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ١٧٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١١ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٢٩ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١١ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١١ .

(٦) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي (عُقُباً) مضمومة القاف ، وقرأ عاصم ، وحمزة ﴿عُقۡبٗا﴾ ساكنة القاف . انظر : السبعة ٣٩٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥٠ ، والتبصرة ٢٤٩ ، والعنوان ١٢٣ ، وحجة القراءات ٤١٩ .

غيره ، فهو خير عقب طاعة وإثابة ونصرة وما يكون من هذا المعنى ، ثم حذف المضاف إليه[١] .

٤٥ . ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ .قال ابن عباس : «يريد لقومك»[٢] . وقوله تعالى : ﴿كَمَآءٍ﴾ الكاف في محل الرفع لخبر ابتداء محذوف ، أي هو كماء يعني مثل الحياة الدنيا[٣] .

﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ؛ يعني : المطر[٤] . ﴿فَٱخْتَلَطَ﴾ فالتف واجتمع به ، بذلك الماء أي بسببه ؛ لأن النبات إنما يختلط ويكثر بالماء[٥] .

وقال أبو إسحاق : «تأويله أنه نجع في النبات حتى خالطه ، فأخذ النبات زخرفه»[٦] . يريد : أن النبات شرب من ذلك الماء فبدأ فيه الري والنضارة ، فعلى هذا الوجه ، قد اختلط النبات بالماء حيث يروى به .

وقوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحَ﴾ ؛ أي النبات ﴿هَشِيمًا﴾ ؛ معنى الهَشْم في اللغة : الكسر ، والهَاشِم : الذي يَهْشِم الخبز ويكسره في الثريد ، وبه سمي هَاشِم ، والهَشِيم : ما تكَسَّر وتَهَشَّم وتَحَطَّم من يَبَسِ النبات[٧] .

---

(١) تفسير غريب القرآن ١/ ٢٦٨ ، ومجاز القرآن ١/ ٤٠٥ ، والقرطبي ١/ ٤١١ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٥/ ١٧٤ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي ١٠/ ٤١١ .

(٣) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٤٠٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣١٩ ، والدر المصون ٧/ ٥٠٠ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٤ .

(٥) المحرر الوجيز ٩/ ٣١٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٩ ، والقرطبي ١٠/ ٤١٢ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩١ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (هشم) ٤/ ٣٧٦٣ ، ومقاييس اللغة (هشم) ٦/ ٥٣ ، والقاموس المحيط (هشم) ١١٧٠ ، والصحاح (هشم) ٤/ ٢٠٥٨ .

وقال المفسرون في الهشيم : «إنه الكسير المتفتت»[١] .

وقوله تعالى : ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ .الذَّرُّ حمل الريح الشيء ثم تثيره ، يقال : ذَرَتْه الريح ، تَذْرُوه ، وتَذْريه ، وبه قرأ عبدالله : «تَذْرِيه الرياح»[٢] . وتَذْرُوة ، وتَذْرِية وتُذْريه لغات أربع[٣] .

قال المفسرون : «تَرْفعه وتُفْرقه وتنسفه»[٤] . وهذه الآية مختصرة من قوله في سورة يونس : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [يونس :٢٤] . وقد شرحناها هناك .

قال أبو إسحاق : «أعلم الله أن الحياة الدنيا زائلة ، وأن مثلها هذا المثل»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ ؛ أي على كل شيء من الإنشاء والإفناء قادراً ، أنشأ النبات ولم يكن ، ثم أفناه . قال الحسن : «كان الله على كل شيء مقتدراً أن يكونه قبل كونه»[٦] . قال الزجَّاج وهو مذهب النحويين في هذا : «أن معناه كان مقتدراً : لم يزل»[٧] ، أي ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث عنده . وهذا مما سبق بيانه قديماً .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٥٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٢٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٩ .

(٢) المحرر الوجيز ٩/ ٣٢٠ ، والكشاف ٢/ ٣٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (ذرا) ٢/ ١٢٧٢ ، ولسان العرب (ذرا) ٣/ ١٤٩١ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٧٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٣ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩١ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩١ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩١ .

٤٦. ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. قال المفسرون: «هذا رد على عيينة بن حصين، والأقرع والرؤساء الذين كانوا يفتخرون بالمال والغنى والأبناء. أخبر الله - تعالى - أن ذلك مما يُتَزيَّن به في الحياة الدنيا ويُتَجمل به، لا مما ينفع في الآخرة»[(١)]. ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ يعني: ما يأتي به سلمان، وصهيب، وفقراء المسلمين[(٢)].

واختلفوا في المراد بالباقيات الصالحات، فقال ابن عباس في رواية سعيد ابن جبير: «هي الصلوات الخمس»[(٣)]. وهو قول مسروق، وإبراهيم، ومحمد بن كعب[(٤)]. وقال في رواية عطاء: «يريد سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر»[(٥)]. وهذا قول مجاهد، وعكرمة، والضحاك[(٦)]. وروي ذلك مرفوعاً: «أن النبي ﷺ سمَّى هذه الأذكار الباقيات الصالحات فقال: «وهي الباقيات الصالحات»»[(٧)]. روى ذلك أنس، وأبو هريرة، والخدري.

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٥٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٤، والتفسير الكبير ٢١/ ١٣١.

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٥٤، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٥، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٢٢، والنكت والعيون ٣/ ٣١٠.

(٤) المذكور في الطبرى وابن كثير خلاف هذا، انظر: ١٥/ ٢٥٥، وابن كثير ٣/ ٩٦.

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٥٤، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٤، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٦.

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٥٦، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٤، وبحر العلوم ٢/ ٣٠١، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب.

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، في القرآن، باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى ١/ ٢١٠، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٦٨، والهيثمي في مجمع الزوائد، في كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة وحقنها للدم ١/ ٢٩٧، وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، ورجاله ورجال الصحيح، غير الحارث بن عبدالله مولى عثمان وهو ثقة، وابن الأثير في جامع الأصول، في كتاب تفسير (سورة الكهف) ٢/ ٢٢٠، =

وزاد عثمان ، وابن عمر ، وسعيد بن المسيب : «لا حول ولا قوة إلَّا بالله ، مع هذه الأذكار في تفسير الباقيات الصالحات»[١] .

وقال في رواية العوفي : «هي الكلام الطيب»[٢] . وهذا أيضاً راجع إلى ذكر الله ؛ لأنه الكلام الطيب .

وقال في رواية الوالبي : «هي الأعمال الصالحات وجميع الحسنات»[٣] .

وهو قول قتادة قال : «هي كل ما أريد به وجه الله»[٤] . واختاره الزجَّاج فقال : «هي كل عمل صالح يبقى ثوابه»[٥][٦] .

قوله تعالى : ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ .قال ابن عباس : «يريد أفضل ثواباً وأفضل أملاً من المال والبنين»[٧] . وهذا على عادة خطاب العرب تقول في الشيئين : هذا خير ، وإن لم يكن في الثاني شيء يُخَيَّر به . كقوله تعالى :

= والطبراني في الصغير : ١/ ١٤٥ ، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٨٥ ، والطبري في تفسيره ١٥/ ٢٥٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٠٨ .

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٥٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٤ ، وتفسير الباقيات الصالحات وفضلها ٣٢ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٥٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤٠٩ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٥٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٢٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٦ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٧٥ ، والكشاف ٢/ ٣٩٢ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٠ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٢ .

(٦) والراجح ـ والله أعلم ـ أن الباقيات الصالحات : كل عمل خير ، فلا وجه لقصرها على عمل دون آخر ، ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهذا اختيار كثير من المفسرين . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٤ ، وأضواء البيان ٤/ ١٠٩ .

(٧) ذكره القرطبي ١٠/ ١٤٤ من دون نسبة ، وكذلك الألوسي في روح المعاني ١٥/ ٢٨٧ .

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان :٢٤] ، ومعلوم أنه لا خير في مستقر أهل النار ، وإلى هذا المعنى أشار الفرَّاء فقال في قوله : «﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الأمل للعمل الصالح خير من الأمل للعمل السيئ»[(١)] .

وقال ابن قتيبة : «﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ مما يؤملون»[(٢)] ؛ أي هو خير أن يؤمل .

٤٧. قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ﴾ .قال الزجَّاج : «هو منصوب على معنى واذكر ، ثم قال : ويجوز أن يكون نصبه على معنى : خير يوم تسير الجبال ، أي خير في القيامة»[(٣)] . وهذا الوجه يحسن لو لم يكن في ﴿وَيَوْمَ﴾ الواو[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ .معنى التسيير : جعل الشيء يسير ، وقال الكلبي : «تُسير الجبال عن وجه الأرض ، كما تُسير السحاب في الدنيا ، ثم تكسر فتعود في الأرض»[(٥)] . وهذا معنى قوله : ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة :٥ ، ٦] ، وقُرئ : ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ على بناء الفعل للفاعل[(٦)] . وهذه القراءة أشبه بما بعده من قوله : ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ﴾ ، وحجة القراءة الأولى قوله : ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ :٢٠] ، وقوله : ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير :٣] ، فبني الفعل للمفعول به .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٦ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٨ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٢ .

(٤) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٩ .

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ٣١١ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي في تفسيره ١٠/ ٤١٦ .

(٦) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر (ويوم تُسير الجبالُ) بالتاء ورفع الجبال ، وقرأ نافع ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ بالنون ونصب الجبال . انظر : السبعة ٣٩٣ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٥١ ، والتبصرة ٢٤٩ ، والعنوان ١٢٣ ، والنشر ٢/ ٣١١ .

وقوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ قال ابن عباس : «يريد لا جبل ولا بناء ولا شجر ولا ماء»[١] . وقال مجاهد : «لا خَمَر[٢] فيها»[٣] . وقال الكلبي : «ظاهرة ليس عليها شيء»[٤] .

وقال أهل المعاني : «لا شيء يسترها ، يحشر الناس فيكونون كلهم في صعيد واحد ، يرى بعضهم بعضاً»[٥] . وهذا قول قتادة في البارزة : «أنها الظاهرة التي لا بناء عليها ، ولا شجر»[٦] . وقال عطاء : «قد برز الذين كانوا في بطنها فصاروا على ظهرها»[٧] . وحكى الكلبي هذا القول أيضاً فقال : «ويقال برز كل شيء فيكون على ظهرها»[٨] . وذكره الفرَّاء فقال : «﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ يقول : أبرزنا أهلها من بطنها»[٩] .

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب من دون نسبة .

(٢) قال الأزهري في تهذيب اللغة (خَمَر) ١/ ١١٠٠ : الوهدة : خَمَر ، والأكمة : خَمَر ، والجبل : خَمَر ، والشجر : خَمَر ، وكل ما خلفك فهو خمر . انظر : القاموس المحيط (الخمر) ٣٨٧ ، والصحاح (خمر) ٢/ ٦٥٠ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٥٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٨ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٦٥ ، وتفسير مجاهد ١/ ٣٧٧ .

(٤) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب من دون نسبة ، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٢ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٥ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٢ .

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٥٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٨ ، والدر المنثور ٤/ ٤١١ .

(٧) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٧ .

(٨) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٥٧ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١١ ، ولباب التأويل ٤/ ٢١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٧ .

(٩) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٦ .

والقول الأول هو الأولى[١] . وهذا لا يصح إلَّا على بعد .

واستكره بأن يجعل برز بمعنى : أبرز ، فقد قال ابن هانئ[٢] في قول لبيد[٣] :

النَّاطقُ المبروزُ والمختومُ

قال : «يقال : بَرَزْته بَرَز ، بمعنى : أبرزته»[٤] .

ويكون معنى الآية على هذا : وترى الأرض مبرزة ما فيها ، كما قال : ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق] . وهذه لغة شاذة لا يفسر بها كتاب الله .

وقوله تعالى : ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ ؛ أي المؤمنين والكافرين ، وقد تقدم ذكرهم في هذه السورة . ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ ؛ أي لم نترك ولم نخلف ، يقال : غَادَرَه وأغدره إذا تركه ، ومنه الغدر ؛ لأنه ترك الوفاء ، والغدير : الماء الذي غادره السيل والمطر[٥] .

---

(١) هذا هو الراجح والله أعلم ، وما عليه جمهور المفسرين ، فهي ظاهرة وليس عليه ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان ؛ أي قد اجتثت ثمارها ، وقلعت جبالها ، وهدم بنيانها ، فهي بارزة ظاهرة . انظر : جامع البيان ١٥/ ١٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٦ ، وأضواء البيان ٤/ ١١١ .

(٢) محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي ، أبو القاسم ، يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة ، ويعد أشهر المغاربة على الإطلاق ، وقد عاصر المتنبي ، ووُلد بإشبيلية ، ورحل إلى المنصورية قرب قيروان مدة قصيرة ، ثم رحل إلى مصر ، وقُتل غيلة برقة سنة ٣٦٢ هـ ، وله ديوان مطبوع . انظر : وفيات الأعيان ٢/ ٤ ، والنجوم الزاهرة ٤/ ٦٧ ، وشذرات الذهب ٣/ ٤١ ، والأعلام ٧/ ١٣٠ .

(٣) هذا عجز بيت للبيد ، وصدره :

أو مُذْهَبٌ جَدَدٌ على ألواحِهِ

المَبْرُوز : المكتوب المنشور ، من أبرز الكتاب إذا أخرجه ونشره ، والمختوم : الذي لم ينشر . انظر : ديوان لبيد بن ربيعة ١٥١ ، وتهذيب اللغة (برز) ١/ ٣١٠ ، ولسان العرب (برز) ١/ ٢٥٥ .

(٤) تهذيب اللغة (برز) ١/ ٣١٠ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (غدر) ٣/ ٢٦٣٨ ، والقاموس المحيط (غدر) ٤٤٨ ، والصحاح (غدر) ٢/ ٧٦٦ .

٤٨. وقوله تعالى : ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ ؛ يعني المحشورين . ﴿صَفًّا﴾ .الصف مصدر وصف به ، ووضع موضع الحال ، فهو بمعنى مصفوفين ؛ كل زمرة وأمة صف[١] .

وقوله تعالى : ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ القول هاهنا مضمر ، أي يقال لهم : لقد جئتمونا . أو فيقول لهم الله : ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قال ابن عباس : «يريد حفاة عراة غرلاً»[٢] .

وقيل : «يعني فرادى»[٣] . كما قال في سورة الأنعام : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الآية . وقال أبو إسحاق : «أي بعثناكم كما خلقناكم»[٤] ، لأن قوله : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يعني : بعثناكم .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ خطاب لمنكري البعث خاص ، ومعناه : بل زعمتم في الدنيا أن لن تُبعثوا ؛ لأن الله وعدهم البعث فلم يصدقوا ، والمعنى : ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ للبعث والجزاء ، و﴿بَلْ﴾ هاهنا إيذان بأن القصة الأولى قد تمت وبدأ في كلام آخر ، وذلك أن الآية عامة في المؤمن والكافر إلى قوله : ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ فلمَّا أخذ في كلام خاص لأحد الفريقين أدخل ﴿بَلْ﴾ ليؤذن بتحقيق ما سبق ، وتوكيد ما يأتي بعده ، كقوله تعالى : ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ بَلْ هُمْ فِى

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٠ ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٣ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٤٠٠ ، والدر المصون ٧/ ٥٠٥ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٦ بمعناه من دون نسبة ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٧ . يشهد لهذا حديث عائشة – رضي الله عنها – في الصحيحين ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً . . . .» الحديث .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٣٩٨ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٦ ، والكشاف ٢/ ٣٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٧ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٢/ ٢٩٢ .

شَكٍّ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ [النمل :٦٦] ، وقد يجيء ﴿بَلۡ﴾ في الكلام لترك ما سبق من غير إبطال له[١] ، كقول لبيد[٢] :

بلْ ما تَذَكَّرُ مِنْ نَوارَ وقدْ نأَتْ وتقطَّعَتْ أسبابُها ورِمامُها

لم يرد بـ(بل) هاهنا إبطال ما سبق ، وإنما أراد الإذان بترك الكلام الأول ، كما تقول : دع ذا ، واترك ذا ، عند تمام ما يتكلم به والانتقال إلى غيره ، كما قال امرئ القيس[٣] :

فدعْ ذا وسلِّ الهمَّ عنكَ بجَسْرةٍ

٤٩. قوله تعالى : ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ .قال المفسرون : «يعني كتب أعمال الخلق»[٤] . و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ اسم الجنس ، فيعمُّ عند الإطلاق . قال أبو إسحاق : «معناه ووضع كتاب كل امرئ بيمينه أو شماله»[٥] .

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١٣٤ ، والدر المصون ٧/ ٥٠٦ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٦ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٤٠٠ ، وأضواء البيان ٤/ ١١٦ .

(٢) البيت للبيد . نوار : اسم امرأة . ونأت : بعدت . والأسباب : الحبال . والرِّمام : الحبال الضعاف التي أخلقت وكادت تتقطع . انظر : ديوانه ١٦٦ .

(٣) هذا صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه :

ذَمُولٍ إذا صامَ النَّهارُ وهجرا

جَسْرَة : يقال ناقة جسرة طويلة ضخمة ، والجسر العظيم من الإبل . وذَمُول : السريعة . انظر : ديوانه ٦٣ ، وتهذيب اللغة (صام) ٢/ ١٩٦٥ ، ولسان العرب (هجر) ٤٦١٩ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٦ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٣ .

وقوله تعالى : ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ .قال ابن عباس : «يريد المشركين . ﴿مُشْفِقِينَ﴾ قال : خائفين»[١] . ومعنى الإشفاق في اللغة : الخوف والحذر من وقوع المكروه ، ويقال : شَفَقَ بمعنى أَشْفَقَ شفقةً ، وإشْفاقاً فهو مشفق وشَفِق ، وأصل الحرف من الرقة[٢] . وسنذكر ذلك مستقصى عند قوله :﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق :١٦] إن شاء الله .

وقوله تعالى :﴿مِمَّا فِيهِ﴾ ؛ أي من الأعمال السيئة .

﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَنَا﴾ لوقوعهم في الهلكة يدعون بالويل على أنفسهم : ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ أي لا تاركاً صغيرة ، فقوله : ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ في موضع الحال ، قال ابن عباس في رواية عكرمة : «الصغيرة التبسم ، والكبيرة الضحك»[٣] .

ونحو هذا روى عنه الذبال بن عمرو الأوزاعي في ما كان يعظ به المنصور[٤][٥] . ونحو هذا روي عن الحسن عن ابن عباس ، وهو قول ابن أبي

---

(١) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٥٨ ، والبغوي ٣/ ١٧٧ من دون نسبة ، والقرطبي ١٠/ ٤١٨ ، والرازي ١١/ ١٣٤ ، وأضواء البيان ٤/ ٢٤٩ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (شفق) ٢/ ١٩٠٠ ، والقاموس المحيط (شفق) ٣/ ٨٩٧ ، ولسان العرب (شفق) ٤/ ٢٢٩٢ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ١٧٧ ، والكشاف ٢/ ٣٩٣ ، والقرطبي ١٠/ ٤١٩ ، والدر المنثور ٤/ ٤١١ .

(٤) عبدالله بن محمد بن علي بن العباس ، أبو جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، وأول مَن عُني بالعلوم من ملوك العرب ، كان عارفاً بالفقه والأدب محباً للعلم والعلماء ، ولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ ، وعُرف بالشجاعة والحزم ، توفي ببئر ميمون من أرض الحجاز محرماً بالحج ، ودفن في الحجون بمكة سنة ١٥٨هـ ، ودامت خلافته ٢٢ عاماً . انظر : تاريخ بغداد ١٠/ ٥٣ ، والجرح والتعديل ٥/ ١٥٩ ، وتاريخ الطبري ٩/ ٢٩٢ ، والأعلام ٤/ ١١٧ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٥٨ .

ليـــلى[١] ، والكلبي[٢] . وقـــال في رواية عطـــاء : «﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ يريد : من أعمالنا ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ يريد : الشرك»[٣] . وقال سعيد بن جبير : «الصغيرة : اللمم ، والكبيرة : الزنا»[٤] .

وقولـــه تعالى : ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ أي عدَّها ، وأثبتهـــا ، وكتبها ، وحفظها ، كل هذه ألفاظ المفسريـــن[٥] . والمعنى : أني أحصيت وأثبـــت في الكتاب . فأضيف الإحصاء إلى الكتاب توسعاً .

قـــال قتادة في هذا : «اشـــتكى القوم -كما تســـمعون- الإحصـــاء ، فإياكم والمحقرات من الذنوب ، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ ؛ أي في الكتاب مكتوباً مثبتاً ذكره . ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ .قال الزجَّـــاج : «أي يعاقبهم ، فيضع العقوبة موضعها في مجازاة الذنوب ، قال : وأجمع أهل اللغة أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه»[٧] .

---

(١) عيســـى بن عبدالرحمن بـــن أبي ليلى الأنصاري ، تابعي ثقـــة ، قرأ القرآن على أبيـــه ، وقرأ عليه أخوه محمد بن عبدالرحمن ، وأبوهما ممن قرأ على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وله رواية قليلة في السنن . انظر : التاريخ الكبير ٦/ ٣٩٠ ، والكاشـــف ٢/ ٣٦٨ ، وغاية النهايـــة ١/ ٦٠٩ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٢١٩ ، ومعرفة القرَّاء الكبار ١/ ٦٦ .

(٢) المحرر الوجيز ٩/ ٣٢٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٢ ، والقرطبي ١٠/ ٤١٩ .

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٨ بلا نسبة .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٧٧ ، والكشاف ٢/ ٣٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٥ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٥٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٧ ، والكشاف ٢/ ٣٩٣ ، وأضواء البيان ٤/ ١١٦ .

(٦) جامـــع البيان ١٥/ ٢٥٨ ، والنكـــت والعيون ٣/ ٣١٣ ، والجامـــع لأحكام القـــرآن ١٠/ ٤١٩ ، والدر المنثور ٤/ ٤١١ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٣ .

وتأويل هذا : أنه لا يعاقب أحداً بغير جرم ، وهو معنى قول الضحاك : «لا نأخذ أحداً بجرم لم يعمله»[١] .

٥٠. قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ . قال المفسرون : أمر الله -تعالى- نبيه ﷺ أن يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة إبليس ، وما أورثه الكبر ، فقال : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ؛ أي واذكر يا محمد ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ ، قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد أن ملائكة السماء الدنيا يقال لهم : الجن»[٢] . مثل قوله : ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات :١٥٨] يعني حين قالوا : الملائكة بنات الله . وكان ابن عباس يقول : «لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود»[٣] .

وروى سعيد عن قتادة قال : «كان من قبيل من الملائكة يقال لهم : الجن»[٤] . وقال شهر بن حوشب : «كان إبليس من الجن الذين ظفر بهم الملائكة»[٥] .

وقال الحسن : «ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس»[٦] .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤١٩ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٥٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٥٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٢٩ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٦٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٢ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٦٠ ، وتفسير القرآن للصنعاني : ١/ ٤٠٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٢ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٦١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٣ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٩٢ .

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٦٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٢ .

وقد ذكرنا الخلاف في هذا في سورة البقرة عند ذكر قصة آدم بالشرح[١][٢].

وقوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ ذكر أهل التأويل في هذا ثلاثة أوجه: أحدها وهو الأكثر: أن معناه خرج عن أمر ربه إلى معصيته في ترك السجود. وهو قول الفرَّاء، وأبي عبيدة.

قال الفرَّاء: «أي خرج عن طاعة ربه، والعرب تقول: فسقت الرطبة من قشرها لخروجها منه، وكأن الفأرة إنما سميت فويسقة لخروجها[٣] من جحرها على الناس»[٤].

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

(٢) الذي عليه كثير من المفسرين ـ رحمهم الله تعالى ـ أن إبليس كان من الملائكة، أو من طائفة منهم يقال لهم: الجن.
قال الطبري، بعد أن ذكر الأقوال في هذه المسألة: «وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها، وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الله ـ جل ثناؤه ـ خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى، فخلق بعضاً من نور وبعضاً من نار وبعضاً مما شاء من غير ذلك، وليس في ترك الله الخبر عما خلق منه ملائكته وإخباره عما خلق منه إبليس ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن مسماهم. وأمَّا خبر الله عنه أنه من الجن فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياء عن الأبصار كلها جناً فيكون إبليس والملائكة منهم لاجتنانهم عن أبصار بني آدم». انظر: جامع البيان ١/ ٢٢٧، والمحرر الوجيز ١/ ٢٤٦، ومعالم التنزيل ١/ ٦٣، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٩٤، والبحر المحيط ١/ ١٥٣.

(٣) قوله: (لخروجها) ساقط من نسخة (ص).

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٧.

وقال أبو عبيدة : «﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦ﴾ ؛ أي جار ومال عن طاعته»[١] ، وأنشد لرؤبة[٢] :

فواسقاً عنْ قصدِهِ جوائرا

الوجه الثاني : ما ذكره الأخفش قال : «معنى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦ﴾ نحو قول العرب : أتخم عن الطعام ؛ أي عن أكله ، ولما رد هذا الأمر فسق»[٣] . ونحو هذا حكى الزجَّاج عن قطرب[٤] . قال أبو العباس : «ولا حاجة به إلى هذا ؛ الفسوق معناه : الخروج ، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦ﴾ ؛ أي خرج»[٥] .

الوجه الثالث : ما ذهب إليه سيبويه والخليل : «أن معنى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦ﴾ أتاه الفسق لما أُمِرَ فعصى ، وكان سبب فسقه أمر ربه ، كما تقول : أطعمه عن جوع وكساه عن عُرِي ، المعنى : كان سبب فسقه الأمر بالسجود ، كما كان سبب الإطعام الجوع ، وسبب الكسوة العري»[٦] .

---

(١) تهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٨٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٤٠٦ .

(٢) هذا عجز بيت لرؤبة يصف إبلًا منعدلة عن قصد نجد ، وصدره :

يهوينَ في نجدٍ وغوراً غائزاً

انظر : ديوانه ١٩٠ ، ومجاز القرآن ١/ ٤٠٦ ، وتهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٨٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٦ ، والزاهر ١/ ٢١٨ ، ولسان العرب (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٦١ ، وتهذيب اللغة (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٤ .

(٥) تهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٨٨ ، ولسان العرب (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٩٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٢٠ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٣٧ .

قال أبو عبيد : «وهذه الكلمة -يعني الفسوق- لم أسمعها في شيء من أشعار الجاهلية ولا أحاديثها ، وإنما تكلمت بها العرب بعد نزول[١] القرآن»[٢] . قال أهل المعاني المُبرِّد وغيره : «هي كلمة فصيحة على ألسنة العرب»[٣] . وأوكد الأمور ما جاء في القرآن ، ومعناه : الخروج ، كما قال : فواسقاً . . . البيت[٤] .

وقوله تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ .قال قتادة : «وهم أولاده ، وهم يتوالدون كما يتوالد بنوا آدم»[٥] . ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ .قال الكلبي : «ليس تصلون له ولا تصومون ، ولكن مَن أطاع شيئاً فقد عبده»[٦] . واختلف في كيفية ولادة إبليس وحصول ذريته ، فقال مجاهد في ما روى عنه ابن جريج : «أن إبليس أدخل ذكره في دبره ، فباض خمس بيضات فهم ذريته»[٧] .

وقال الشعبي في هذه الآية : «لا تكون ذريته إلَّا من زوجة»[٨] .

---

(١) في (ص) : (تبدل) ، وهو تصحيف .

(٢) ذكر نحوه ابن منظور في لسان العرب (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٣) تهذيب اللغة (فسق) ٣/ ٢٧٨٨ ، ولسان العرب (فسق) ٦/ ٣٤١٤ .

(٤) يريد به بيت رؤبة الآنف ذكره ، وهذا ما ذهب إليه جمهور أهل اللغة والتفسير من أن الفسق معناه : الخروج . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٢٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٦ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٧ ، وأضواء البيان ٤/ ١٢١ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٦٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٧٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٦ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٧ .

(٦) ذكر نحوه السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٢ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٢٠ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٧ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٣ .

(٨) معالم التنزيل ٥/ ١٧٩ بمعناه ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٢٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٦ ، وروح المعاني ١٥/ ٢٩٥ .

وروى عبدالله بن المغيرة[١] : «أن أبا هريرة قال : اسم امرأة إبليس ردة»[٢] .
وروى ليث عن مجاهد قال : «ذريته الشياطين»[٣][٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ ؛ أعلم الله - تعالى - أنه من العداوة والحسد لبني آدم على مثل الذي كان لأبيهم . قال ابن عباس : «يريد كما أخرج أبويكم من الجنة»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ .قال ابن عباس : «يريد حيث استبدلوا بالرحمن عبادة الشيطان»[٦] .

وقال الحسن : «بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم أن أطاعوا إبليس ، فبئس ذلك لهم بدلاً»[٧] .

---

(١) عبدالله بن عثمان بن المغيرة الثقفي ، إمام زاهد ، تابعي محدث ، روى عن ابن عباس وغيره من أصحاب النبي ﷺ ، وروى عنه ابن جريح والحسن البصري وغيرهما من التابعين . انظر : الجرح والتعديل ٢/ ١١١ ، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣١٧ ، والخلاصة ٢٠٦ ، وتقريب التهذيب ٢٠٧ .

(٢) لم أقف على هذا القول ، وقد ذكر ابن عطية مثل هذا القول في تفسيره ١٠/ ٤١٣ ، ثم قال : «وهذا وما جانسه مما لم يأتِ به سند صحيح ، وقد طول النقاش في هذا المعنى وجلب حكايات تبعد عن الصحة ، ولم يمر بي في هذا صحيح إلَّا ما في كتاب : مسلم من أن للوضوء والوسوسة شيطاناً يسمى الخنزب ، وذكر الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان ، والله أعلم بتفاصيل هذه الأمور لا رب غيره» .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٢١ .

(٤) والحق في ذلك ـ والله أعلم ـ أن الله أخبر أن لإبليس أتباعاً وذريةً ، وأنهم يوسوسون إلى بني آدم ليضلوهم . أمَّا كيفية ولادة تلك الذرية فلم يثبت فيه نقل صحيح ، ومثله لا يعرف بالرأي ، بل يتوقف الأمر فيه على النقل الثابت عن النبي ﷺ .

(٥) لم أقف على القول ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة :٣٦] .

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٢ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٦٧ .

(٧) زاد المسير ٥/ ١٥٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٠ ، ونسبه لقتادة ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٢٠ .

وقال الزجَّاج : «بئس ما استبدل به الظالمون من رب العزة إبليس»[١] . والمعنى : بئس هو بدلاً ؛ أي إبليس .

٥١ . ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ .

وقوله تعالى : ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ؛ أي ما أحضرتهم ، يعني إبليس وذريته[٢] .

قال صاحب النظم : «أومأ بقوله : ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ إلى أنه لم يشاورهم في خلق السماوات والأرض ولا في خلق أنفسهم»[٣] . أي أنه خلقها وخلقهم على ما أراد وقدر من غير مشاورة لهم ، وإنما ضمن الإشهاد الإيماء إلى المشاورة ؛ لأن الرجل إذا أراد مشاورة إنسان أشهده نفسه ، أو شهده بنفسه ، يدل على صحة هذا المعنى قوله : ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي الشياطين الذين يضلون الناس .

وقال أهل المعاني : هذه الآية تأكيد في زجرهم عن اتخاذ إبليس وذريته أولياء . يقول : ليس عندهم علم ما تحتاجون إليه فتقبلوا أنتم على اتباعهم ، فإني لم أشهدهم خلق السموات والأرض . وقيل : «إن هذه الآية إخبار عن كمال قدرة الله تعالى ، واستغنائه عن الأنصار والأعوان»[٤] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٤ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٦٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٣٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٥ .

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٨٠ من دون نسبة ، والسمرقندي في النكت والعيون ٣/ ٣١٥ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٣ .

قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ .قال قتادة : «أعوانا»[١] . ولفظ العَضُد يستعمل كثيراً في معنى العون ، وذلك أن العضْد قوام اليد ، ومنه الاعتضاد وهو التَّقوِّي ، واعتضدت بفلان معناه : استعنت به ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص :٣٥] ؛ أي سنعينك ونقويك ، وكل معين فهو عضد ، وعاضدني فلان ؛ أي عاونني ، وفي العضد لغات : عَضُد ، وعَضْد ، وعُضُد ، وعُضْد[٢] . والناس على أن معنى هذا : استغنى الله – تعالى – بقدرته عن الأنصار .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : لم يعضدوا لي ولياً ، ولم ينصروا لي عبداً ، ولم يقوموا لأحد من أوليائي بحق»[٣] . ومعنى هذا : أنهم لو نصروا أولياء الله لكان كأنهم نصروا الله ، ولما لم يفعلوا ذلك أخبر الله تعالى أنه لم يتخذهم أعواناً . والقول هو الأول ، وإنما قال : عَضُد على واحد لوفاق الفواصل .

٥٢. قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ ؛ أي الله تعالى ، وقراءة العامة : بالياء لقوله : ﴿شُرَكَآءِىَ﴾ وقرأ حمزة : بالنون[٤] ، حملاً على ما تقدم في المعنى من قوله : ﴿وَمَا كُنتُ﴾ [الكهف :٥١] فكما أن كنت للمتكلم كذلك : نقول ، والجمع والإفراد في ذلك بمعنى .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٦٣ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٣٤١ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (عضد) ٣/ ٢٤٧١ ، ومقاييس اللغة (عضد) ٤/ ٣٤٨ ، والقاموس المحيط (العضد) ١/ ٢٩٩ ، والصحاح (عضد) ٥٠٩ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي ، وعاصم ﴿يَقُولُ﴾ بالياء ، وقرأ حمزة (نقول) بالنون . انظر : السبعة ٣٩٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥١ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٦ ، والتبصرة ٢٤٩ ، والنشر ٢٠/ ٣١١ .

قال ابن عباس : «يريد يوم القيامة»[١] . قال المفسرون : «يقول الله – تعالى – يوم القيامة : ادعوا الذين أشركتم بي ليمنعوكم من عذابي»[٢] . وهو قوله : ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ .قال ابن عباس : «يريد في الدنيا»[٣] . ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ .قال أنس : «هو واد في جهنم من قيح ودم»[٤] . وهو قول مجاهد ، وعبدالله بن عمر[٥] .

وقال نوف البكالي : «هو واد بين أهل الضلال وبين أهل الإيمان»[٦] . وقال البكالي : «هو واد يفرق به[٧] بين أهل لا إله إلَّا الله ومَن سواهم»[٨] . وهذا القول يوافق قول ابن عباس في رواية عطاء فإنه قال : «يريد حِجازاً وحاجزاً»[٩] . ونحو هذا قال ابن الأعرابي في الموبق قال : «وكل حاجِز بين شيئين فهو مُوبِق»[١٠] . وعلى هذا القول الكناية في قوله : ﴿بَيْنَهُم﴾ يعود إلى الفريقين من المؤمنين والكافرين ، وليس يعرف للموبق بمعنى الحاجز اشتقاق . وقال ابن عباس في رواية الوالبي :

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٥/ ١٨١ بلا نسبة ، والسمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٣ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢ .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٠١ بلا نسبة ، والسمرقندي ٢/ ٣٠٣ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٦٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٣٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠١٢ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨١ بمعناه من دون نسبة لابن عمر ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٣٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٤ .

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ١٥/ ٢٦٤ ، ونسبه إلى عمرو البكالي ، وكذلك ابن كثير ٣/ ١٠١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣ .

(٧) قوله : (به) :ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

(٨) تفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٦٨ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٤ ، وأضواء البيان ٤/ ١٢٧ .

(٩) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢ .

(١٠) معالم التنزيل ٣/ ١٠١ ، وأضواء البيان ٤/ ١٢٨ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤/ ٣٨٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢ .

«مهلكاً»[١] . وهو قول قتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، والسُّدِّي[٢] ، وجميع أهل المعاني[٣] .

قال الفرَّاء : «يقول : جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقاً ؛ أي مهلكاً لهم في الآخرة»[٤] . وعلى هذا ﴿بَيْنَهُم﴾ ينتصب انتصاب المفعول به ؛ لأنه جعل البين بمعنى التواصل ، فلا ينتصب انتصاب ، والكناية تعود على المشركين فقط[٥] .

وقال أبو إسحاق : «أي جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم ؛ أي يهلكهم»[٦] . والبين على هذا ظرف ، والموبق على القولين في مصدر ، كأنه قيل : جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً لهم في الآخرة . والتأويل : سبب هلاك . هذا تقدير قول الفرَّاء . وعلى قول أبي إسحاق كأنه قيل : جعلنا بينهم هلاكاً . يعني : عذاباً يهلكهم . ونص الضحاك على لفظ الهلاك فقال في قوله :﴿مَّوْبِقًا﴾ :هلاكاً[٧] .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٦٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٣٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٩٢ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٦٤ ، وتفسير الصنعاني ١/ ٣٤١ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٠١ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٥ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٧ ، وتفسير المشكل من غريب القرآن ٢/ ٢٦٨ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٧ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤/ ٣٨٢٨ .

(٥) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٤٠٠ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٥ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ٢٦٤ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٠١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٦ .

قال الفـرَّاء في المصادر : «يقال : وَبِقَ ، يَوبقُ ، وَبَقـاً ، فهو وَبِق ، قال : وبنو عامـر[١] يقولون : يابِق ، وتميـم[٢] تقول : يَبِق .والمصـدر واحد»[٣] . وحكى الكسائي : «وَبَقَ ، يَبِقُ ، وُبُوقاً ، فهو وابِق ، قال : ولم أسمعها»[٤] .

وذكر الزجَّاج هذه اللغات كلها[٥] .

وذُكِرَ في تفسير الموبق قولان آخران لا يُدرى لهما أصل :

أحدهما : ما روي عن الحسن أنه قال : «جعلنا بينهم عداوة يوم القيامة»[٦] . فقال بعض أهل المعاني في هذا : يعني عداوة مهلكة . وهذا بعيد .

والقول الآخر : ما قاله أبو عبيدة قال في تفسـير الموبق : «إنه الموعد ، واحتج بقول الشاعر[٧] :

وجادَ شَرَوْرَى والسِّتارَ فلمْ يَدَعْ تِعَـاراً لـهُ والواديـينِ بِمَوْبـقِ

---

(١) بنـو عامر : بطن مـن قيس عيلان مـن العدنانية ، وهذه النسـبة إلى ثلاثة رجـال : عامر بن لؤي ، وعامر بن صعصعة ، وعامر بن عدي بن نجيب . انظر : الأنساب للسمعاني ٤/ ١١٣ ، والتعريف في الأنساب ٧٨ ، ومعجم قبائل العرب ٣/ ٤٢٢ ، والجمهرة ٢٨٠ .

(٢) تميـم : قبيلة كبيرة ، قوية مـن العدنانية ، منازلهـم في نجد والبصرة واليمامة ، يمتـدون إلى الكوفة ، ويمكـن حصرهـم اليوم في ثلاثة بطـون : بطن حنظلة بن مالـك بن زيد بن مناة بـن تميم ، وبطن سـعد بن زيد بن مناة بن تميم ، وبطن عمر بن تميم . انظر : نهاية الأرب ١٧٧ ، ومعجم قبائل العرب ١/ ١٢٥ ، واللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٢٢٢ ، والأنساب للسمعاني ١/ ٤٧٨ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٦٥ ، ولسان العرب (وبق) ٨/ ٤٧٠٥ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٦٥ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤/ ٣٨٢٨ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٥ .

(٦) جامع البيـان ١٥/ ٢٦٤ ، والمحـرر الوجيـز ٩/ ٣٣٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٦ ، والكشـاف ٢/ ٣٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠١ .

(٧) البيت لخفاف بن ندبة السـلمي . شَرَوْرَى ، والسِّتَار ، وتِعَار : أسماء أماكن وجبال لبني سليم . انظر : مجاز القرآن ١/ ٤٠٦ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤/ ٣٨٢٨ ، والأصمعيات ١٥ ، ولسـان العرب (ويق) ٨/ ٤٧٥٥ .

قال : معناه بموعد»[١] . ولم يذكر أحد من أهل اللغة وَبَقَ بمعنى : وعد ، ثم - وإن صح - ، فأي معنى لقوله : وجعلنا بينهم موعداً . وهذا القول فاسد لفظاً ومعنى . وقد قال الأخفش : «موبق مثل : موعد»[٢] . ولعله رأى هذا فظن أنه يقول : هو مثله في التفسير . وذهب عليه أنه يريد ذلك في اللفظ ؛ لأنه قال : هو مثل : موعد ، من وَبَقَ يَبِقُ . فظن أن وَبَقَ بمعنى وعد ، لما رأى مثل موعد . والله أعلم[٣] .

٥٣. قوله تعالى : ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد المشركين»[٤] . وهي تتلظى حنقاً عليهم ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد : «تيقنوا»[٥] .

وقال السُّدِّي : «استيقنوا»[٦] .

وهو قول جميع المفسرين[٧] . والظن هاهنا بمعنى العلم .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٤٠٦ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤/ ٣٨٢٨ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٩ .

(٣) الراجح -والله أعلم- هو أن «وبق» بمعنى : هلك . قال الطبري -رحمه الله- في تفسيره ١٥/ ٢٦٥ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومَن وافقه في تأويل الموبق المهلك ، وذلك أن العرب تقول في كلامها : قد أوبقت فلاناً ، إذا أهلكته ، ومنه قوله عز وجل : ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ بمعنى : يهلكهن» . انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠١ ، وأضواء البيان ٤/ ١٢٧ ، وتهذيب اللغة (وبق) ٤/ ٣٨٢٨ .

(٤) ذكره الطبري في جامع البيان ١٥/ ٢٦٥ من دون نسبة ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٨١ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٣ .

(٥) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٢/ ٣٣٦ ، والكشاف والبيان ٣/ ٣٩١ أ ، والكشاف ٢/ ٤٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١١٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٧ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ أ ، بحر العلوم ٢/ ٣٠٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨١ ، ولباب التأويل ٤/ ٢١٨ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٢٩ .

(٧) الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨١ .

وقوله تعالى :﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ .قال ابن عباس : «أنهم واردوها»[١] . وقال الحسن : «أنهم داخلوها»[٢] . وقال مجاهد : «مقتحموها»[٣] .

ومعنى المواقعة في اللغة : ملابسة الشيء بشدة ، يقال : واقَعَهُ مُوَاقَعَةً ، وأَوْقَعَ به إِيْقاعاً ، ومنه : وقائع الحروب ، وتَوَقَّعَ ؛ أي ترقب وقعة شيء ، ومن هذا يقال للجماع : الوِقَاع ؛ لأنه يلابسه بدفع وشدة[٤] . والمعنى : ملابسون إياها ملابسة تقع بهم وتشتد عليهم . ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ .قال ابن عباس : «يريد قد أحاطت بهم من كل جانب ، فلم يقدروا على الهرب ولا على الرجوع عنها»[٥] . وقال أهل اللغة : «معنى المصرف : المعدل . وهو الموضع الذي يصرف إليه»[٦] .

قال أبو كبير الهذلي[٧] :

أَزهيرُ هلْ عنْ شيبةٍ منْ مَصْرِفِ

---

(١) ذكر نحوه بلا نسبة السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٣ ، والماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣١٧ .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ من دون نسبة ، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٣ .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (وقع) ٤/ ٣٩٣٥ ، ومقاييس اللغة (وقع) ٦/ ١٣٣ ، والقاموس المحيط (وقع) ٨٢٦ ، والصحاح (وقع) ٣/ ١٣٠١ ، ولسان العرب (وقع) ٨/ ٤٨٩٥ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ١٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١١٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٢١٨ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٥ ، وتهذيب اللغة (صرف) ٢/ ٢٠٠٧ ، والقاموس المحيط (صرف) ٧٧٢ ، والصحاح (صرف) ٤/ ١٣٨٥ ، ولسان العرب (صرف) ٨/ ٢٤٣٥ .

(٧) هذا صدر بيت لأبي كبير الهذلي ، وعجزه :

أمْ لا خلودَ لباذلٍ متكلفِ

انظر : شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٨٤ ، وجامع البيان ١٥/ ٢٦٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣١٧ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٨ ، والدر المصون ٧/ ٥١٠ ، ومجاز القرآن ١/ ٤٠٧ ، ولسان العرب (صرف) ٨/ ٢٤٣٥ .

والمصرف في هذه الآية : موضع ، وليس بمعنى المصدر ، ولو كان مصدراً كان مفتوح الراء .

٥٤. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ مفسر في سورة بني إسرائيل في موضعين[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ .قال ابن عباس : «يريد النضر بن الحارث ، وجداله في القرآن»[(٢)] . وقال الكلبي : «يعني أُبي بن خلف»[(٣)(٤)] .

وقال أبو إسحاق : «معناه كان الكافر ، ويدل عليه قوله : ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾الآية [الكهف :٥٦] . وإن قيل : هل يجادل غير الإنسان ؟ قيل : إن إبليس قد جادل ، وإن كل ما يعقل من الملائكة ، والجن يجادل ، ولكن الإنسان أكثر هذه الأشياء جدلاً»[(٥)(٦)] .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٤١ : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ .
وقوله تعالى في الآية ٨٩ : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [سورة الإسراء] .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٨١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٣٧ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٩ .

(٣) أُبي بن خلف بن وهب الجمحي ، كان من أشد الناس وأكثرهم أذى للرسول ﷺ وللصحابة رضوان الله عليهم ، رماه النبي ﷺ يوم أحد بحربة فقتله . انظر : جوامع السير ٥٤ ، والكامل في التاريخ ٢/ ١٤٨ ، والأعلام ٢/ ٢٢ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٨١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٩ ، والقرطبي ١١/ ٥ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٦ .

(٦) الأولى ـ والله أعلم ـ أن تكون عامة في المؤمن والكافر ، ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً ، فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يا رسول الله ، إنما أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليَّ شيئاً ، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول :﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف :٥٤] .

٥٥. قوله تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ .قال ابن عباس : «يريد أهل مكة»[١] . ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ ؛ أي الإيمان ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ محمد ﷺ جاءهم من الله بالرشاد والبيان[٢] . وهذا مفسر في سورة بني إسرائيل[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ عطف على أن يؤمنوا .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال صاحب النظم : «﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أنهم إذا تمردوا ولم يؤمنوا أن يعذبوا ويهلكوا»[٤] .

يقول : فقدَّرت على هؤلاء العذاب ؛ أي لم أُقدِّر عليهم الإيمان ، فذلك الذي يمنعهم من الإيمان ؛ لأني قد قدَّرت عليهم الإهلاك وهو سُنَّة الأولين[٥] . وهذه الآية على هذا التفسير دليل إثبات القدر .

---

(١) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٣٣٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١١٠ ، وروح المعاني ١٥/ ٣٠٠ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٨٢ ، وفتح القدير ٣/ ٤٢٢ .

(٣) عند قوله سبحانه في سورة الإسراء الآية رقم (٩٤) ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ .

(٤) لم أقف عليه ، ويشهد لهذا عدد من الآيات التي تحققت فيها سُنَّته سبحانه في إهلاك مَن كفر وصد عن سبيله ، فعم قوم نوح الغرق ، وأهلكت عاد الريح العقيم ، وأخذت ثمود الصيحة ، وقلبت على اللوطية ديارهم فجعل الله عاليها سافلها . قال -سبحانه- في سورة العنكبوت ، الآية ٤٠ : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

(٥) يشهد لهذا عدد من الآيات في كتاب الله ، كقوله في سورة يونس ، الآية ٩٦ و٩٧ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ، وقوله -تعالى- في سورة يونس ، الآية ١٠١ : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ .

وقال أبو إسحاق : «المعنى إلَّا طلب أن تأتيهم سُنَّة الأولين ، وسُنَّة الأولين أنهم عاينوا العذاب فطلب المشركون ذلك ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنفال :٣٢]»[١] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ . قال ابن عباس والكلبي : «يريد قتل المؤمنين إياهم ببدر»[٢] . معنى ﴿قُبُلًا﴾ : عياناً ؛ أي مقابلة . قرأ أهل الكوفة : قُبُلاً[٣] ، وهو يحتمل تأويلين أحدهما : أنه بمعنى قِبَلاً ، فقد قال أبو زيد : «لقيت فلاناً قِبَلاً ومُقابَلَةً وقَبَلًا وقُبُلاً وقَبَلِيّاً وقبيلاً»[٤] . أي صنفاً صنفاً ، كل قبيل منه غير صاحبه ، ويجوز أن يكون ضرباً واحداً ، ويجيئهم منه شيء بعد شيء . وهذا الحرف قد مضى تفسيره في سورة بني إسرائيل[٥] ، والأنعام[٦] .

٥٦. وقوله تعالى : ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ .قال ابن عباس : «يريد المستهزئين ، والمقتسمين وأتباعهم»[٧] . وجدالهم بالباطل : أنهم ألزموه أن يأتي بالآيات على أهوائهم على ما كانوا يقترحون .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٦ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ١٨٢ بمعناه ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٤٠ ، والكشاف ٢/ ٢٩٤ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٦٩ ، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦ ، ونسبه إلى ابن عباس والكلبي .

(٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر (قِبَلًا) بكسر القاف ، وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف . انظر : السبعة ٣٩٣ ، الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٦ ، والتبصرة ٢٤٩ ، والنشر ٢/ ٣١١ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٦٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥٣ ، ولسان العرب (قبل) ٦/ ٣٥٢٠ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء :٩٢] .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام :١١١] .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦ .

وقولــه تعالى : ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ .قال ابن عبــاس : «ليبطلوا به ما جاء به محمد ﷺ»[١] . ومعنى الإدحاض : الإذهاب والإهلاك . يقال : دَحَضَتْ رجله تَدْحَضُ دَحْضاً ؛ أي زلت . ودَحَضْتَ حجته : إذا أبطلتها[٢] .

ومــن هذا مــا روي في الحديــث : «أنه كان يصــلي الأولى حــين تَدْحَض الشمس»[٣] ؛ أي تزول وتزلق عن بطن السماء .

وقوله تعــالى : ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى﴾ يعني القــرآن ، ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ .وإن جعلت ﴿مَا﴾ موصولاً بمعنى الذي ، كان الراجع من الصلة محذوفاً على تقدير : وما أنذروا به أي خوفوا به من النار والقيامة . وإن جعلت بمعنى المصدر لم يحتج إلى الراجع ، ويكون المعنى : واتخذوا آياتي هزواً[٤] . والهزؤ : مصدر وصف به ، كقوله تعالى : ﴿أَنَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة :٦٧] ، وقد مر .

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان ١٥/ ٢٦٧ من دون نسبة ، وكذلك الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ ب .

(٢) انظــر : تهذيب اللغة (دحض) ٢/ ١١٥٤ ، ومقاييس اللغة (دحــض) ٢/ ٣٣٢ ، والقاموس المحيط (دحض) ٦٤٢ ، والصحاح (دحض) ٣/ ١٠٧٥ .

(٣) أخرج نحــوه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت الظهر عند الزوال ١/ ٢٠٠ ، وأبو داود في كتــاب الصلاة ، باب وقت صلاة الظهر ١/ ٢٨٥ ، وابن ماجه في كتاب الصلاة ، باب وقت الظهر ١/ ٢٢١ ، والنســائي في كتاب المواقيت ، باب أول وقت الظهر ١/ ١٧٦ ، والإمام أحمد في مســنده ٤/ ٤٢٠ .

(٤) الكشاف ٢/ ٣٩٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٩ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٤١ .

٥٧. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام بمعنى التقرير أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّن ذُكِّرَ﴾. قال ابن عباس: «وعظ»[١]. ولهذا دخلت الباء في ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ يريد: العقاب والعذاب. ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾. قال: «يريد فتهاون بها»[٢]. قال قتادة في هذه الآية: «إياكم والإعراض عن ذكر الله، فإن مَن أعرض عن ذكر الله فقد اغتر أكبر الغرة»[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾. قال قتادة: «نسي ما سلف من الذنوب الكبيرة»[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ مفسر في سورة بني إسرائيل[٥]، والأنعام[٦]. ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾. قال ابن عباس: «يريد إلى الإيمان»[٧]. ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾. قال أبو إسحاق: «أخبر الله أن هؤلاء بأعيانهم أهل الطبع»[٨].

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٥/ ١٨٢ من دون نسبة، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٤، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ١٠/ ١١٢ من دون نسبة، والشوكاني في فتح القدير ٣/ ٤٢٣.

(٣) لم أقف عليه، ويدل عليه قوله - تعالى - في سورة طه، الآية ١٢٤، و١٢٥، و١٢٦: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾.

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٦٨، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٤ بلا نسبة.

(٥) عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

(٦) عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥].

(٧) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧ بلا نسبة.

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٧.

٥٨. قوله تعالى : ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ . قال المفسرون : «يعني البعث والحساب»[١] . ﴿يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ . قال الأخفش ، وأبو عبيد : «منجا ، من وأل يئل وألاً على فعول»[٢] . وأنشد أبو عبيدة للأعشى[٣] :

وقدْ أخالسُ ربَّ البيتِ غفلتَهُ وقدْ يحاذرُ منِّي ثمَّ ما يئلُ

وقال الفرَّاء : «﴿مَوْئِلًا﴾ : منجاً وهو الملجأ»[٤] . ومعناهما واحد ، والعرب تقول : إنه ليوائل إلى موضعه . يريدون يذهب إلى حرزه ، والمنجا والملجأ في هذا لفظ المفسرين . قال ابن عباس في رواية الوالبي : «ملجأً»[٥] . وهو قول الكلبي ومجاهد في رواية إسرائيل[٦] . وروى ورقاء عنه : «محرزاً»[٧] . وقال قتادة وابن زيد : «منجاً»[٨] .

٥٩. وقوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ . قال الزجَّاج : «﴿وَتِلْكَ﴾ رفع بالابتداء ، و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ صفة لها ، و﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ خبر الابتداء . قال : وجائز أن يكون موضع ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ نصباً ، ويكون ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ مفسراً للناصب ، ويكون المعنى : وأهلكنا تلك القرى

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٨٣ ، والكشاف ٢/ ٣٩٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٦ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ١/ ٦١٩ .

(٣) البيت للأعشى . أخالس : خلس الشيء ؛ أي سرقه . ثم ما يئل : ما ينجو . انظر : ديوانه ٥٩ ، ومجاز القرآن ١/ ٤٠٨ ، وجامع البيان ١٥/ ٢٦٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٣٢ ، والدر المصون ٧/ ٥١٣ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٨ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٦٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٠ ، والقرطبي ١١/ ٨ .

(٦) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٦٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٠ ، والكشاف ٢/ ٤٨٩ ، والقرطبي ١٠/ ١١٢ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ٢٦٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٤٠ .

(٨) تفسير القرآن للصنعاني ١/ ٣٤١ ، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ من دون نسبة ، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٤ .

أهلكناهم»[١] . قال الأخفش : «أراد أهلها ، لذلك قال : ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ حمله على القوم والأهل»[٢] .

قال ابن عباس : «يريد ما أهلك بالشام واليمن لما ظلموا وأشركوا وكذبوا بالأنبياء»[٣] .

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ .والمهلك هاهنا يجوز أن يكون : مصدراً ، وأن يكون : وقتاً ، والمعنى : جعلنا لإهلاكهم أو لوقت إهلاكهم ، وكل فعل على أفعل .

فالمصدر واسم الزمان والمكان فيه سواء ، تقول : أدخلتُه مُدْخلاً وهذا مُدْخله ، أي المكان الذي يدخل منه وقت إدخاله[٤] . وقرأ عاصم في رواية أبي بكر : (لِمَهْلَكِهِمْ) بفتح الميم واللام[٥] ، وهو مصدر هلك يهلك ، والمعنى لوقت هلاكهم يكون المهلك مصدراً مضافاً إلى الفاعل[٦] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٨ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ١/ ٦١٩ .

(٣) لم أقف عليه ، وهذا الإجمال في تعيين هذه القرى وأسباب هلاكها ، وأنواع الهلاك الذي وقع عليها جاء مفصلاً في آيات أخرى كثيرة ، وجاء في القرآن الكريم من قصة قوم نوح ، وقود هود ، وقوم صالح ، وقوم شعيب ، وقوم موسى .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٨ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٣ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/ ٤٠١ .

(٥) قرأ عاصم في رواية أبي بكر (لِمَهْلَكِهِم) بفتح الميم واللام الثانية . انظر : السبعة ٣٩٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥٦ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٣٦ ، والتبصرة ٢٤٩ .

(٦) الدر المصون ٧/ ٥١٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٣ ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٤ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٤٨ .

قال أبو علي : «ويجوز على لغة تميم أن يكون مصدراً مضافاً إلى المفعول ؛ لأنهم يقولون : هلكني زيد ، كأنهم جعلوه من باب رجع ، ورجعته ، وغاض الماء وغضته ، وعلى هذا حمل بعضهم[١] :

ومهمهٍ هالكِ منْ تعرَّجا

قال : هو بمنزلة : مُهْلِكِ مَنْ تَعَرَّجا . فقول : ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ ، على قول مَن عَدَّى : هلكت مصدر مضاف إلى المفعول به ، نحو ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت :٤٩] . وقُرئ في رواية حفص[٢] : ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ بفتح الميم وكسر اللام[٣] .

قال أبو إسحاق : «هذا على أن يكون مهلك اسماً للزَّمان ، يقال : هلك يهلك ، هذا زمن مهلكه»[٤] .

قال أبو علي : «ويجوز أن يكون مصدراً ، وقد جاء المصدر من باب فعل يفعل بكسر العين قال : ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [آل عمران :٥٥] ، وقال : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة :٢٢٢] ، والفتح في المصدر أكثر وأوسع»[٥] .

---

(١) هذا عجز بيت للعجاج وصدره :

عصراً وحضناً عيشة المعذلجا

انظر : ديوانه ٢/ ٤٣ ، والمحتسب ١/ ٩٢ ، والمقتضب ٤/ ١٨٠ ، والخصائص ٢/ ٢١٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥٦ ، والدر المصون ٧/ ٥١٥ .

(٢) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٥٦ .

(٣) قرأ عاصم في رواية حفص ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ بكسر اللام فيهما وفتح الميم . انظر : الغاية في القراءات ٣٠٨ ، والعنوان في القراءات ١٢٣ ، وحجة القراءات ٤٢١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٦٥ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٧ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥٧ .

وقولـه تعالى : ﴿مَّوْعِدًا﴾ قال ابن عباس : «يريـد وقتاً»[١] . وقال مجاهد : «أجلاً»[٢] .

٦٠. قوله تعـالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ الآية . روي عن أُبي بن كعب من طرق كثيرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال : هل تعلم أحداً أعلم منك ؟ فقال موسى : لا . فأوحى الله إلى موسى : بلى ، عبدنا خضر[٣] ، فسأل موسى السبيل إلى لقياه ، فجعل الله له الحوت آية . [وقيل : إذا فقدت الحوت][٤] فارجع فإنك ستلقاه»[٥] .

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ٣٢١ من دون نسبة .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٧٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٦٩ .

(٣) الخضر هو صاحب موسـى عليه السلام ، وقد اشتُهِر بهذا اللقب وسُـمِّي به في القرآن والسُنَّة ، وقد أخرج البخاري في صحيحه ٦/ ٣٠٩ بسـنده عن أبي هريـرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «إنما سُمِّي الخضر ؛ لأنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» .
قـال ابن كثير ـ رحمـه الله ـ في البداية والنهاية ١٥/ ٣٢٧ : «قيل إنما سُـمِّي الخضر خضراً : لحسـنه وإشراقة وجهه ، وهذا لا ينـافي ما ثبت في الصحيح ؛ فإن كان ولا بد من التعليل بأحدهما فما ثبت في الصحيح أولى وأقوى بل لا يلتفت إلى ما عداه» .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومن نسخة (ص) .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٧٨ ، وتفسـير القرآن للصنعاني : ١/ ٣٤٠ ، ومعـالم التنزيل ٥/ ١٨٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٧ ، وتفسير النسائي ٢/ ٨ ، وأخرجتـه كتب الصحاح والسـنن من عدَّة طرق ؛ فقد أخرجه البخاري في كتاب التفسـير (سورة الكهف) ٨/ ٤٠٩ ، وكتاب العلم ١/ ١٧٣ ، وكتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الخضر : ٦/ ٤٣١ ، وكتـاب التوحيد ١٣/ ٤٤٨ ، وأخرجه مسـلم في صحيحـه ، في الفضائل ، باب : فضل الخضر عليه السلام ٤/ ١٨٥٠ ، وأخرجه الترمذي في جامعه ، في التفسير (سورة الكهف) ٨/ ٥٥٨ ، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنن ، باب في القدر ، حديث رقم ٤٧٠٥ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١١٧ .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «قام موسى خطيباً في بني إسرائيل فأبلغ في الخطبة ، وحدث في نفسه أن أحداً لم يؤت من العلم ما أوتي ، فعلم الله الذي حدث نفسه من ذلك فقال له : يا موسى ، إن من عبادي مَن قد آتيته من العلم ما لم أوتك ، قال : إي ربي ، من عبادك ؟ قال : نعم ، قال : فدلني على هذا الرجل الذي آتيته من العلم ما لم تؤتني حتى أتعلَّم منه . قال : يدلك عليه بعض زادك . فقال لفتاه يوشع : ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ الآية ، فكان في ما تزود حوتاً مالحاً في زبيل[(١)] ، ثم كان من أمرهما ما قص الله في كتابه»[(٢)] .

فقوله : ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ﴾ معناه : واذكر إذ قال موسى ، لما في قصته من العبرة ، وقوله تعالى : ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ .أجمعوا أنه : يوشع بن نون . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد غلامه»[(٣)] .

قال الفرَّاء ، والزجَّاج : «وإنما سمي فتى موسى ؛ لأنه كان ملازماً له يأخذ عنه العلم ويخدمه»[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ .قال جميع أهل التأويل : «معناه لا أزال»[(٥)] . يقال : برحت أفعل كذا ؛ أي ما زلت ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ [طه :٩١] ،

---

(١) الزبيل : الجراب ، وقيل : وعاء يحمل فيه . انظر : تهذيب اللغة (زبل) ٢/ ١٥٠٩ ، ولسان العرب (زبل) ٦/ ١٥ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٧٨ ، وتفسير القرآن للصنعاني : ١/ ٤٠٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٢١ ، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة الكهف) ٨/ ٤٠٩ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضل الخضر ٤/ ١٨٥٠ ، والترمذي في كتاب التفسير (سورة الكهف) ٨/ ٥٨٨ ، والنسائي في تفسيره ٢/ ٨ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة جامع البيان ١٥/ ٢٧١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢١ ، والمحرر الوجيز : ٩/ ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٦٤ ، والقرطبي ١١/ ١١ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٩ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٤ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ١٨٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٤٨ ، والنكت والعيون ٢/ ٣٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩ .

أي لن نزال . وأصله من قوله : برح الرجل براحاً ، إذا راح من موضعه ، ومنه قوله : ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ [يوسف :٨٠] وقد مرَّ بنا ، فإذا قلت : ما برح يفعل كذا ، فكأنك قلت : أقام يفعل ذلك ، ودام على حاله تلك من غير مفارقة . قال أبو إسحاق : «معنى ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ : لا أزال ، ولو كان معناه لا أزول كان محالاً ؛ لأنه إذا لم يزل من مكانه لا يقطع أرضاً ، وأنشد[١] :

وأبرحُ ما أدامَ اللهُ قومي بحمدِ اللهِ مُنْتَطِقاً مُجِيداً

أي لا زال»[٢] . وقال صاحب النظم : «قوله : ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ مكفوف عن إتمام نظمه ؛ لأن فيه إضماراً وهو : لا أبرح أمضي ماضياً ، أي سائراً حتى أبلغ مجمع البحرين»[٣] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد ملتقى البحرين العذب والمالح»[٤] .

وقال قتادة : «يعني بحر فارس وبحر الروم»[٥] . وكان مجمع البحرين الموضع الذي وعد موسى للقاء الخضر عليه السلام .

---

(١) البيت لخداش بن زهير . منتطق : يقال جاء فلان منتطقاً فرسه إذا جنبه ولم يركبه . انظر : معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٨ ، والمقاصد النحوية ٢/ ٦٤ ، وأساس البلاغة ٢/ ٤٥٤ ، وخزانة الأدب ٩/ ٢٤٣ ، وشرح ابن عقيل ١/ ٢٦٤ ، وتهذيب اللغة (نطق) ٤/ ٣٦٠٢ ، ولسان العرب (نطق) ٧/ ٤٤٦٣ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٨ .

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة الكشاف ٢/ ٣٩٥ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٤٤ ، والدر المصون ٧/ ٥١٧ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٤٥ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٧١ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٧ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٧١ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٤٠٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٤٩ .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ أَمْضِيَ﴾ ؛ أو أسير . ﴿حُقُبًا﴾ .قال ابن عباس في ما روى عنه الوالبي يقول : «دهراً»[١] . وقال في رواية عطاء : «الحقب الواحد بضع وثمانون سنة ، السنة ثلاثمائة وستون يوماً ، اليوم الواحد ألف سنة»[٢] . وقال مجاهد : «الحقب سبعون خريفاً»[٣] .

وأمَّا أهل اللغة ، فإنهم كلهم قالوا : «الحقب ثمانون سنة»[٤] .

قال صاحب النظم : «﴿أَوْ﴾ بمعنى حتى ، مثل قولك : لا آتيك أو تكرمني ، فيرجع تأويل الآية : لا أبرح ماضياً إلى أن أمضي حقباً حتى أبلغ مجمع البحرين . قال : ونظير هذا في الكلام أن تقول : لا أزال إلى أن أسير سنة حتى أقضي حاجتي . ومعنى إلى أن أسير سنة : وإن احتجت إلى أن أسير سنة»[٥] . وعلى ما ذكر ، يكون في الآية تقديم وتأخير ، ولا يجوز أن يجعل ﴿أَوْ﴾ للعطف ؛ لأنه ليس المراد حتى أبلغ مجمع البحرين وحتى أمضي حقباً ، و﴿أَوْ﴾ هاهنا الناصبة للفعل بإضمار أن

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٧٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٠٣ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : التسهيل لعلوم التنزيل ٣٨٥ ، والكشاف ٢/ ٤٩٠ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٤٦ ، وأنوار التنزيل ٣/ ٢٣٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٦٥ ، ومدارك التنزيل ٢/ ٩٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٧٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١١ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٩ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٤ ، وتفسير المشكل من غريب القرآن ١٤٤ .

(٥) ذكر نحوه بلا نسبة البحر المحيط ٦/ ١٤٥ ، والدر المصون ٨/ ٥١٧ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠١ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٤٦ .

كـما تقول : لألزمنك أو تعطيني حقي ، التقديـر : إلى أن تعطيني حقي[١] ، ومنه قول امرئ القيس[٢] :

فـقلـتُ لهُ لا تـبكِ عـينُكَ إنَّما نحاولُ ملـكاً أوْ نمـوتَ فنُعْذَرا

المعنى : إلى أن نموت .

٦١. قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ يعني : موسى وصاحبه . ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ . قال ابن عباس : «يريد ملتقـى العذب والمالح»[٣] . وعلى قول قتادة : «ملتقى بحر الروم وبحر فارس»[٤] . وهو حيث وعد لقاء الخضر .

وقوله تعـالى : ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ إلى آخـر الآية . قال سـعيد بن جبير ، عن ابن عباس : «كان في ما تزودا حوتاً مالحاً في زبيل ، وكان يصيبان منه عند العشـاء والغداء ، فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر ، وضع فتاه المكتل[٥] فأصاب الحوت [ندى البحر فتحرك في][٦] المكتل فقلب المكتل ، وانسرب في البحر»[٧] .

---

(١) البحـر المحيط ٦/ ١٤٥ ، والدر المصـون ٧/ ٥٢٠ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمـن ٤٠١ ، وروح المعاني ١٥/ ٣١٢ .

(٢) البيـت لامرئ القيس . انظر : ديوانـه ٦٤ ، والكتاب لسـيبويه ٣/ ٤٧ ، وخزانة الأدب ٤/ ٢١٢ ، والمقتضب ٢/ ٢٨ ، واللامات ٦٨ ، وشرح المفصل ٧/ ٢٢ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٧١ ، والدر المنثور ٤/ ٤١٧ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٧١ ، وتفسـير القـرآن للصنعاني ١/ ٤٠٥ ، ومعـالم التنزيل ٥/ ١٨٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٤٩ .

(٥) المكتـل : الزنبيل يحمل فيه التمر وغيره . انظر : تهذيب اللغـة (كتل) ٤/ ٣١٠٠ ، والقاموس المحيط (الكتلة) : ص ١٠٥٢ ، ولسان العرب (كتل) ٦/ ٣٨٢٢ .

(٦) في النسـخ جميعها : (جرى البحر فترك المكتل) . وما أثبته هو الصواب والموافق للسياق ، والمثبت في الوسيط للمؤلِّف ٣/ ١٥٧ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ٢٧٨ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٤٠٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٢١ .

وروى أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال : «لَمَّا أراد موسى أن يطلبه قيل له : تزود معك حوتاً مالحاً فحيث[١] يفقد الحوت ثم تجد الرجل ، فانطلق هو وفتاه حتى أتيا الصخرة ، فقال لفتاه : امكث حتى آتيك ، وانطلق موسى لحاجته ، فجرى الحوت حتى وقع في البحر ، فقال فتاه : إذا جاء نبي الله حدثته ، فأنساه الشيطان»[٢] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «نسي الفتى أن يذكر قصة الحوت لموسى»[٣] .

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ . قال : «يريد مسيراً»[٤] . وفي حديث أُبي : «جعل لا يصيب الحوت شيئاً من الماء إلَّا جمد ، حتى اتخذ سبيله في البحر سرباً شبه النقب»[٥] .

وقال قتادة : «جعل لا يسلك طريقاً إلَّا صار الماء جامداً»[٦] .

وقال الربيع بن أنس : «انجاب الماء على مسلك الحوت فصارت كوة لم تلتئم»[٧] .

---

(١) في (ص) : (فحنت) ، وهو تصحيف .

(٢) سبق تخريج الحديث في أول القصة .

(٣) الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠ أ ، وذكر في بحر العلوم ٢/ ٣٠٥ من دون نسبة .

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة المحرر الوجيز ٩/ ٣٥٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣ .

(٥) سبق تخريج الحديث في أول القصة .

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٧٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٥٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١٤٥ .

(٧) ذكرته كتب التفسير ، ونسبته إلى أُبي بن كعب . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٧٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩ أ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٢٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٦٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٣ .

وروي أيضـاً عن النبي ﷺ في حديث أُبي بن كعب قال : «ما انجاب الماء مذ كان الناس غير مـكان الحوت الذي دخل منه كالكوة ، حتى رجع إليه موسـى فرأى مسلكه»[١] . هذا معنى قوله : ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ .

وقال الكلبي : «كان عنـد تلك الصخرة التي نزلا عندهـا عين ماء فتوضأ يوشع من ذلك الماء ، فانتضح على الحوت في المكتل ثم طفر في البحر»[٢] .

والسَّرب معناه في اللغة : المحفور في الأرض لا نفاذ له ، شبه مسلك الحوت في الماء[٣] ، والماء منجاب عنه بالسَّرب . كما قال الفرَّاء : «حيي الحوت بالماء الذي أصابه من العين ، فلما وقع في الماء جمد مذهبه في البحر فكان كالسرب»[٤] .

هـذا قول المفسرين في هذه الآية . وعلى ما قالوا ، في نظم الآية تقديم وتأخير على تقدير : فلما بلغا مجمع بينهما اتخذ الحوت [سبيله في البحر سرباً ، ونسي يوشع أن يذكر ذلك لموسى ؛ لأن النسيان لم يتقدم على ذهاب الحوت][٥] ، ذهب الحوت فنسي الفتى أن يذكر ذلك لموسـى حتى جازا ذلـك المكان ، على ما في القرآن من الآيات بعد هذه الآية .

وقوله تعالى : ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ .أجمع المفسرون أن النسيان هاهنا معناه نسيان الفتى ذكر قصة الحوت لموسى ، والناسي كان أحدهما ، وأضيف إليهما جميعاً .

---

(١) سبق تخريج الحديث في أول القصة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٧٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٣ .

(٢) معالم التنزيـل ٥/ ١٨٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٥ ، والكشـاف ٢/ ٣٩٥ ، وروح المعاني ١٥/ ٣١٤ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٤٦ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (سرب) ٣/ ١٦٦٣ ، والصحاح ١/ ١٤٦ ، واللسان ٤/ ١٩٨١ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٤ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

واختلفوا في وجه هذا فقال الفرَّاء : «إنما نسيه يوشع فأضافه إليهما كما قال : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن :٢٢] وإنما يخرج من الملح دون العذب»(١) . وعلى هذا أضيف إليهما توسعاً ، وذكر غيره العلة في جواز هذا التوسع فقال : «إنهما كانا جميعاً تزوداه لسفرهما ، فجاز إضافته إليهما كما يقال : نسي القوم زادهم ، وإنما نسيه أحدهم»(٢) .

وقال أبو علي الفارسي : «هذا من باب حذف المضاف . المعنى : نسي أحدهما حوتهما ، فلما حذف المضاف عادت الكناية إلى الفعل فقيل : نسيا . قال : وكذلك قوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ [الرحمن :٢٢] المعنى : من أحدهما ، وفيه حذف أيضاً من وجه آخر وهو أن التقدير : نسيا أمر حوتهما وقصته ؛ لأن يوشع نسي أن يذكر أمره لموسى على ما بينا»(٣) .

هذا الذي ذكره مذهب المفسرين ، وجميع أهل المعاني ، وقد أغنى الزجَّاج عن الحذف والتقديم والتأخير الذي يلزم على مذهب هؤلاء فقال في قوله : ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ : «كان النسيان من يوشع أن يقدمه ، وكان النسيان من موسى أن يأمره فيه بشيء»(٤) .

وعلى هذا المعنى لَمَّا بلغا مجمع بينهما نسي يوشع أن يقدم الحوت للأكل ، ونسي موسى أيضاً أن يأمره بذلك ، فلمَّا نسياه حيا بإذن الله ، وذهب في البحر ، فصح المعنى واستغنى عن تقدير الحذف والتقديم والتأخير ، غير أن مذهب المفسرين في النسيان ما ذكرنا أولى .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٤ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٧٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٥٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٣ ، وروح المعاني ١٥/ ٣١٤ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٢/ ٣١١ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٩ .

وذكر في انتصاب قولـه :﴿سَرَبًا﴾ وجهين ؛ أحدهما : أنـه مفعول ثان ، كما تقول : اتخذت زيداً وكيلاً .

والثاني : أن ﴿سَرَبًا﴾ هاهنا مصـدر سرب ينسرب إذا ذهب على وجهه[١] . منه قول الشاعر[٢] :

ونحنُ خلعنا قيدَهُ فهوَ ساربُ

وذكرنـا هذا عند قولـه : ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعـد :١٠] ، وكأنه قيل : سَرب الحوت سرباً ، ودل عليه قوله : ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف :٦٣] ؛ لأنه بمعنى سرب ، ولهذا نظائر كثيرة في التنزيل . وعلى هذا ، قد حصل في معنى السرب قول آخر ، وبنحو هذا القول أخـبرني العروضي عن الأزهري قال : «أخبرني المنذري عـن ابن اليزيدي عن أبي حاتم . في قوله : ﴿سَرَبًا﴾ قال : أظنه يريد ذهاباً يسرب سرباً ، كقولك : يذهب ذهاباً»[٣] .

٦٢. قوله تعالى :﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ؛ أي ذلك المكان الذي كانت عنده الصخرة وذهب الحوت .

قال رسـول الله ﷺ : «انطلقا وأصابهما ما يصيب المسافر من النصب والكلال»[٤] . ولم يجـد النَّصَب حتى جاوز حيث أمره الله تعـالى ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ الآية . ونحو

---

(١) معاني القـرآن للزجَّاج ٣/ ٢٩٩ ، ومشـكل إعراب القـرآن ١/ ٤٤٥ ، وإعـراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٣ ، وتهذيب اللغة (سرب) ٢/ ١٦٦٣ .

(٢) هذا عجز بيت للأخنس بن شهاب التغلبي ، وصدره :
وكلُّ أناسٍ قاربوا قيدَ فحلِهِمْ
انظر : تهذيب اللغة (سرب) ٢/ ١٦٦٢ ، ولسان العرب (سرب) ٤/ ١٩٨٠ .

(٣) تهذيب اللغة (سرب) ٢/ ١٦٦٣ .

(٤) سبق تخريج الحديث في أول القصة .

هذا قال ابن عباس وجميع المفسرين : «إنه لم ينْصَب حتى جاوز الموضع الذي يريده ، فلما خرج من حد الموضع نصب فدعا بالطعام ليأكل»[١] . والغداء : الطعام الذي يؤكل بالغداة . كالعشاء : الطعام الذي يؤكل بالعشي . والنَّصب : التعب والوهن الذي يكون عن الكلال[٢] .

قال الليث : «النَّصب الإعياء من العناء ، والفعل نَصِبَ يَنْصَب ، وأنْصَبَنِي هذا الأمر»[٣] .

٦٣ . قال المفسرون : فلما قال له موسى ذلك تذكر قصة الحوت ؛ لأنه كان من عنده عذابها ، فقال : ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ ﴾ الآية .

قال صاحب النظم : «الأمر عند الناس قوله : أرأيت من رؤية البصر ، وليس كذلك ، إنما هي كلمة وضعت لتنبيه المسؤول[٤] عنه وبعثه على التفهم والإجابة كما قال عز وجل : ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [العلق :١١] ، والدليل على ذلك أن الفاء في قوله : ﴿ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ يدل على أنه جواب لمعنى يقتضي الفاء ، والتأويل : إن شاء الله أرأيت . أي اسمع وتفهم فإني نسيت الحوت»[٥] . ونحو هذا قال أبو علي الفارسي : «وأمَّا ما جاء أرأيت فيه بمعنى انتبه فقوله : ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ ﴾ كأن المعنى : انتبه فإني نسيت الحوت ، ولذلك دخلت الفاء كما تدخل

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٧٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٦ ، والكشاف ٢/ ٣٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (نصب) ٤/ ٣٥٨١ ، ومقاييس اللغة (نصب) ٥/ ٤٣٤ ، والقاموس المحيط (نصب) ١/ ١٣٨ .

(٣) تهذيب اللغة (نصب) ٤/ ٣٥٨١ .

(٤) في نسخة (ص) : (على ما يسأل عنه) .

(٥) ذكر أبو علي الفارسي نحوه في الحجة للقراء السبعة ٣/ ٣٠٩ .

في جواب الجزاء . ومثله : ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم﴾ [الملك :٣٠] ، كأنه : انتبهوا فمَن يأتيكم»[١] .

وقولــه تعالى : ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ يعني : حين نزلا هناك ووضع يوشــع المكتل الذي فيه الحوت عند الصخرة .

وقوله تعالى : ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ .قــال ابن عباس في حديث أُبي بن كعب مرفوعاً : «فإني نســيت الحوت أن أحدثكه»[٢] . وعلى هذا المعنى نســيت قصة الحوت وأمره على ما ذكرنا . ثم اعتذر فقال : ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وذلك ؛ لأنه لو ذكر لموسى قصة الحوت عند الصخرة ما جاوزها موسى ، وما ناله النصب الذي شــكاه في قوله : ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ فاعتذر فتاه من ذلك بأن أنساه الشــيطان إياه . قال أهل المعاني : «معناه شغل قلبي بوسوسته حتى نسيته ؛ لأن الشيطان لا يقدر على فعل النسيان وإنما عرضه له»[٣] .

وقولــه تعالى : ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ .قال أبو إســحاق : «﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل من الهاء لاشــتمال الذكر على الهاء في المعنى ، وما أنســاني أن أذكره إلَّا الشيطان»[٤] . قال ابن عباس : «يريد أن أحدث بقصة الحوت»[٥] . وهذه الآية تدل على صحة قول المفسرين في قوله :﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ .

---

(١) ذكر أبو علي الفارسي نحوه في الحجة للقراء السبعة ٣/ ٣٠٩ .

(٢) سبق تخريج الحديث في أول القصة .

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٢٤ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٤٧ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٠ .

(٥) ذكرته كتب التفســير من دون نســبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٧٨ ، والكشــف والبيان ٣/ ٣٩١ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٥ ، وتفســير كتاب الله العزيــز ٢/ ٢٧١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٤ .

وقوله تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ . قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً»[١] . ونحو هذا قال قتادة ، ومجاهد ، وابن زيد[٢] . وقد ذكرنا أن مسلك الحوت لم يلتئم فدخل موسى ذلك المسلك . وينتصب ﴿عَجَبًا﴾ - على هذا - بوقوعه موقع الحال ، كأنه قيل : واتخذ موسى سبيل الحوت عاجباً من ذلك الأمر[٣] .

قال مجاهد : «تعجب موسى من أثر الحوت في البحر ودورانه التي غاب فيها»[٤] .

وقال ابن زيد : «أي شيء أعجب من حوت كان دهراً من الدهور يؤكل منه ، ثم صار حياً حتى مشى في البحر»[٥] . وهذا القول اختيار الفرَّاء فقد قال : «واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً»[٦] . ويجوز أن ينتصب (عجباً) بأنه نعتُ محذوفٍ ؛ كأنه قيل : سبيلاً عجباً . ذكره ابن قتيبة[٧] . وهذا القول الذي ذكرنا عن هؤلاء بعيد ؛ لأن اتخاذ موسى سبيل الحوت مسلكاً كان بعد أن ارتدا على آثارهما قصصاً ، إلَّا أن تحمل النظم على التقديم والتأخير ، ولكن التقريب أن يجعل قوله : ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ من قول يوشع [إخباراً عن الحوت أنه فعل ذلك .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٧٥ .
(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٧٥ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٤٧٢ .
(٣) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٢ ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٤ .
(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٧٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٤ .
(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٧٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٧ .
(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٤ .
(٧) تفسير غريب القرآن ١/ ٢٦٨ .

ذهب إلى هذا طائفة من المفسرين فقالوا : «هذا من قول يوشع][1] يقول : اتخذ الحوت سبيله في البحر سبيلاً عجباً»[2] . وذكر الزجَّاج هذا القول[3] .

وذكر كثير من أهل العلم : «أن الكلام قد تمَّ عند قوله : ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ ، ويحسن الوقف هاهنا ثم تقول[4] : ﴿عَجَبًا﴾»[5] . ووجه هذا ما قاله أبو إسحاق : «وهو أن يكون قال يوشع : ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ فأجابه موسى فقال : ﴿عَجَبًا﴾ كأنه قال : أعْجَبُ عَجَباً»[6] .

ونحو هذا حكى أبو حاتم[7] عن أهل التفسير فقال : «إنهم قالوا : ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ تمام ، ثم قال : ﴿عَجَبًا﴾ ؛ أي أعْجَبُ عَجَباً ، وعلى هذا يجوز أن يكون العجب راجعاً إلى يوشع أخبر عن اتخاذ الحوت سبيله في البحر ، ثم أخبر عن تعجبه من ذلك»[8] . والوقف على قوله : ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ مذهب الحسن ، وعيسى بن عمر[9] ، ويعقوب[10] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٨٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٥٥ ، والكشاف ٢/ ٣٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٠ .

(٤) قوله : (تقول) ساقط من (ص) .

(٥) المحرر الوجيز ٩/ ٣٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٤٦ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٠ ، والإيضاح ٢/ ٢٥٩ ، والقطع ولائتناف ٤٤٨ .

(٦) معالم التنزيل ٥/ ١٨٧ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٠ .

(٧) هو السجستاني .

(٨) الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٥٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٢٢ ، والكشاف ٢/ ٤٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٤ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٣٣ .

(٩) في (ص) : (عيسى بن مريم) ، وهو تصحيف .

(١٠) المكتفى في الوقف والابتداء ٣٧٠ ، والقطع والائتناف ٤٤٨ ، والإيضاح ٢/ ٢٥٩ .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «لمَّا قال هذا يوشع ، ذكر موسى ما كان عهد إليه أنه يدلك عليه بعض زادك»[١] .

٦٤. فقال : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ .قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «أي هذه حاجتنا»[٢] . وهذا اللفظ يحتمل معنيين أحدهما : أن المراد بحاجته التي كان يطلبها الخضر عليه السلام ، وعلى هذا ، الإشارة بقوله : ﴿ذَلِكَ﴾ إلى الخضر . هذا قول ذكره المتأخرون من أهل التفسير . والصحيح أنه أراد بقوله : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ انسراب الحوت[٣] ؛ لأن هذا جواب لقول يوشع حين أخبره بذلك الحوت ، وعنده الخضر في ذلك المكان الذي تنسرب فيه السمكة ، فقال موسى : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ ؛ أي نطلب ونريد من العلامة ، ولو أراد الخضر بقوله : ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ لقال : ذلك مَن كنا نبغي . ولكن يوشع لم يخبره عن الخضر بشيء حتى يكون معنى قوله : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ الخضر . ودل كلام أبي إسحاق ، والفرَّاء على هذا القول[٤] .

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٢٤ من دون نسبة ، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤١٧ .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ أ من دون نسبة ، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٦ .

(٣) المحرر الوجيز ٩/ ٣٥٦ ، والكشاف ٢/ ٣٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٤٧ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٠ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٥ .

وقوله تعالى : ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ .قال المفسرون : «رجعا وعادا عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاءا منه»[١] . ﴿قَصَصًا﴾ ؛ أي يقصان آثارهما قَصَصاً . والقَصَص : اتباع الأثر[٢] ، وقد مر ذكره . وانتصابه على المصدر[٣] .

ودل قوله : ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ حتى انتهيا إلى الصخرة التي فعل عندها الحوت ما فعل ، وأبصر موسى أثر الحوت فأخذا أثر الحوت يمشيان على الماء حتى انتهيا إلى جزيرة من جزائر البحر فوجدا الخضر[٤] .

٦٥. فذلك قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ ؛ أي صادفا وأدركا الخضر . قال المفسرون : (اسمه بليا بن ملكان)[٥] .

وقال مقاتل بن سليمان : (اسم المذكور في القرآن اليسع)[٦] .

قال مجاهد : «سمي الخضر ؛ لأنه إذا صلى اخضر ما حوله»[٧] .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٨٧ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٥٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٣ ، ١٠٤ ، والكشاف ٢/ ٣٩٦ .

(٢) العمدة في غريب القرآن ١٩١ .

(٣) البحر المحيط ٦/ ١٤٧ ، والدر المصون ٧/ ٥٢٥ ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٥ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٧٩ ، والدر المنثور ٤/ ٤٢١ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ١٨٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٤٧ ، وروح المعاني ١٥/ ٣١٩ .

(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٢٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٤٧ ، وروح المعاني ١٥/ ٣١٩ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ١٨٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤٢٤ . وقد صح عند البخاري : ٦/ ٣٠٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إنما سُمِّي الخضر ؛ لأنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» . انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٣٦ ، ومسند الإمام أحمد ٢/ ٣١٢ .

وقوله تعالى : ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ .قال ابن عباس : (يريد نبوة)[١] .

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ .قال : (أعطاه علماً من علم الغيب)[٢] .

٦٦. ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ وقُرئت : رَشَداً[٣] ، ومثله كثير في العربية نحو : البُخْل والبَخَل ، والعُجْم والعَجَم ، والعُرْب والعَرَب .

قال أبو علي الفارسي : «فُعْل وفَعَل قد أجرى العرب كل واحد منهما مجرى الآخر[٤] ، ألا ترى أنهم جمعوهما جمعاً واحداً فقالوا : تاجٌ وتِيْجان ، وقاعٌ وقِيْعان ، وحُوت وحِيْتان ، ونُوْنٌ ونِيْنان ، وكما جمعوا فعلاً على فعلٍ نحو : أَسَد وأُسْد ، ووَثَن ووُثْن ، جمعوا فُعْلاً على فُعْلٍ أيضاً ، كما جمعوا فَعَلاً وذلك قولهم : الفلك ، قال الله تعالى : ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء :١١٩] أراد الواحد . وقال : ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [البقرة :١٦٤] أراد الجمع . وقيل : أرجح الوجهين قراءة مَن قرأ : رَشَداً ، لاتفاقهم على الفتح في قوله : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن :١٤] . وقد

---

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٣٢٥ ، والكشاف ٢/ ٣٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦ .
قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٩/ ٣٥٦ : «والخضر نبي عند الجمهور ، والآية تشهد بنبوته ؛ لأن بواطن أفعاله هل كانت إلَّا بوحي الله» .
وقال القرطبي ١١/ ١٦ : «إن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلَّا مَن فوقه ، وليس يجوز أن يكون فوق النبي مَن ليس بنبي» . انظر : الزهر النضر في نبأ الخضر ١١٠ ، والخضر بين الواقع والتهويل ٦٢ ، والخضر نسبه ونبوته ١٧ ، والخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة ١٨ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٧٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦ .

(٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿رُشْدًا﴾ مضمومة الراء خفيفة الشين ، وقرأ ابن عامر (رُشُداً) مضمومة الراء والشين ، وقرأ أبو عمرو البصري (رَشَداً) مفتوحة الراء والشين .
انظر : السبعة : ٣٩٤ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٥٤ ، التبصرة ٢٥٠ ، وحجة القراءات : ٤٢٢ ، و النشر ٢/ ٣١١ .

(٤) في نسخة (ص) : (الأثري) ، وهو تصحيف .

اجتمعا في أن كل واحد منهما فاصلة . فأمَّا وجه انتصابه فقوله : ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ حال من قوله : ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ ، والراجع إلى الموصول في قوله : ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ محذوف تقديره : مما علمته . ﴿رُشْدًا﴾ منصوب على أنه مفعول له ، كأنه قيل : أتبعك للرشد . ويجوز أن يكون مفعولاً به تقديره : هل أتبعك على أن تعلمني رشداً مما علمته[١] .

ومعنى : ﴿رُشْدًا﴾ أمراً ذا رشد ، وعلماً ذا رشد»[٢] ، وذكرنا معنى الرشد عند قوله : ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ [الأعراف :١٤٦] وفي موضع آخر .

وهذه الآية بيان عما يوجبه العلم من تعظيم صاحبه ، ألا ترى كيف دعت موسى -مع جلالة شأنه وما أتاه الله من التوراة والعلم- في اتباع مَن يتعلم منه فيزداد إلى علمه .

قال أبو إسحاق : «وفي ما فعل موسى - وهو من جلة الأنبياء عليهم السلام من طلب العلم والرحلة في ذلك- ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم ، وإن كان قد بلغ نهايته ، وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه ، وأن يتواضع لَمن هو أعلم منه»[٣] .

وقال قتادة : «لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى موسى نبي[٤] الله حيث قال : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ الآية»[٥] .

---

(١) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٥ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ، ٤٠٢ ، والدر المصون ٧/ ٥٢٥ .

(٢) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٥٥ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠١ .

(٤) في (س) : (نجبى) ، وهو تصحيف .

(٥) روح البيان ٥/ ٢٧٤ ، ومجمع البيان ٦/ ٤٤٦ .

٦٧. وقوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ هذا قول الخضر لموسى عليهما السلام . قال ابن عباس : «يريد لن تصبر على صنيعي ؛ لأني علمت علم غيب ، علم ربي»(١) .

٦٨. وقال أبو إسحاق : «ثم أعلمه العلة في ترك الصبر ، فقال : ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ ؛ أي كيف تصبر على ما ظاهره منكر ، والأنبياء والصالحون لا يصبرون على ما يرونه منكراً»(٢) .

وقال الكلبي : «يقول لا ينبغي لرجل صالح أن يصحبني يرى مني ما ينكر لا يغيره»(٣) . وقال ابن عباس : «يريد لم تحط بعلم الغيب»(٤) .

وقال الزجَّاج : «نصب ﴿خُبْرًا﴾ على المصدر ؛ لأن معنى ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ ؛ أي لم يخبره خبراً»(٥) . ومعنى لم يخبره خبراً : لم يعلمه . والخبر : علمك بالشيء ، يقال : من أين خبرت هذا ؟ أي علمت . وليس هذا من الخبر بمعنى التجربة . وقد روي ذلك عن عطاء في هذه الآية قال : «يريد لم يخبر من علم الغيب شيئاً»(٦) . وهو بعيد مع قوله : ﴿لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ .ولفظ الإحاطة يستعمل في معنى العلم لا في معنى التجربة ، فقوله : ﴿لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ كقولك : لم تحط به علماً .

---

(١) ذكر نحوه جامع البيان ١٥/ ٢٨٠ ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠١ .

(٣) ذكر السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٦ من دون نسبة ، وكذلك القرطبي ١١/ ١٦ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ أ ، وذكر نحوه من دون نسبة جامع البيان ١٥/ ٢٨٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٦ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٢ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٨٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ أ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٦ ، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٢٠ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن مردويه .

٦٩. ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ .قال الكلبي : «يقول لا أسألك عن شيء حتى تكون أنت تحدثني»[(١)] ، ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ . قال ابن عباس : «يريد ولا أخالفك في شيء»[(٢)] .

٧٠. قال له الخضر : ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي﴾ .قال ابن عباس : «وذلك أنه كان رجلاً يعمل على الغيب»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ .قال : «يريد حتى أكون أنا الذي أفسره لك ؛ لأنه قد غاب علمه عنك»[(٤)] ، هذا كلامه ، وتفسير ﴿أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ أبتدئ بذكره لك وبيانه .

٧١. وقوله تعالى : ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ .روي عن أُبي بن كعب مرفوعاً أنه قال : «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت بهم سفينة وكلموهم أن يحملوهما ، فحملوهما بغير أجر ، فلما ولجوا البحر أخذ الخضر فأسًا فخرق لوحاً من السفينة ، فحشاها موسى بثوبه ، وقال له : ﴿أَخَرَقۡتَهَا﴾ الآية»[(٥)] . فذلك قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ ؛ أراد ركبا البحر في السفينة ، فحذف المفعول للعلم به . والسفينة معروفة أصلها : من السَّفن وهو القشر ، سميت لِسَفْنِهَا وجه الماء كأنها تَقْشره ، وهي فَعِيلَة بمعنى فَاعِلة . وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال : «قيل

---

(١) ذكر نحوه السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٦ من دون نسبة .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ١٨٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٤ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٢٣ .

(٣) ذكر نحوه جامع البيان ١٥/ ٢٨٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦ .

(٤) الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ أ ، والدر المنثور ٤/ ٤٢٠ ، وعزاه لابن عساكر .

(٥) سبق تخريج الحديث في أول القصة .

لها سَفِينَة ؛ لأنها تَسْـفِنُ الرَّمْل إذا قلَّ الماء . قال : ويكون مأخوذاً من السَّفن ، وهو الفأس التي ينجر بها النجار»[١] . ومنه قوله[٢] :

كما تخوَّفَ عودَ النبعةِ السَّفنُ

فهي على هذا فعيلة بمعنى مَفْعولة ؛ لأنها نُحِتَت من الخشـب بالسَّـفن فهي مَسْفونة ؛ أي منجورة منحوتة[٣] .

وقوله تعالى : ﴿خَرَقَهَا﴾ ؛ أي شقها . جاء في التفسير : «أنه قلع لوحين مما يلي الماء»[٤] ، فقال موسـى منكراً عليه : ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ . قال مجاهد : «منكراً»[٥] . وهو قول قتادة ، والمفسرين[٦] .

(١) تهذيب اللغة (سفن) ٢/ ١٧٠٨ .

(٢) هذا عجز بيت اختُلِف في نسبته ، وصدره :

تخوَّفَ الرَّحلُ منها تامكاً صلباً

تخوف : التخوف التنقص شـيئاً فشيئاً . والتامك : السنام المرتفع . والنبعة : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسي . والسَّـفن : مبرِّد الحديد الذي ينحت به الخشـب . انظر : جامع البيان ١٤/ ١١٣ ، والكشاف ٢/ ٤١١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١١٠ ، وتهذيب اللغة (سفن) ٢/ ١٧٠٨ ، ولسان العرب (سفن) ٤/ ٢٠٣٢ ، والصحاح (سفن) ٥/ ٢١٣٦ .

(٣) انظر : المواضع السابقة من تهذيب اللغة ، والصحاح ، ولسان العرب .

(٤) معالم التنزيل ٣/ ١٧٣ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٦٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٧ ، والكشاف ٢/ ٣٩٧ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٨٤ ، والمحرر الوجيـز ٩/ ٣٦١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩ .

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٨٤ ، وفتح القدير ٣/ ٤٣١ .

وقال أبو عبيدة : «داهية نكراً»[١] ، وأنشد[٢] :

قَدْ لَقِيَ الأَقرانُ مِنِّي نكراً داهيةً دهياءَ إدّاً إمرا

وقال الكسائي : «شديداً عظيماً»[٣] . من أَمِر الأمر ، إذا كبر ، أمراً بفتح الميم ، والإمر الاسم[٤] .

٧٢-٧٣ . فقال له الخضر محققاً ما كان قال له أولاً : ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ . روى ابن عباس ، وأُبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : «كانت الأُولى من أمر موسى النسيان ، والثانية العذر ، ولو صبر موسى لقص الله علينا أكثر مما قص»[٥] . فعلى هذا ، معنى قوله : ﴿نَسِيتُ﴾ ؛ غفلت عن التسليم لك ، وترك الإنكار عليك ونسيت ذلك .

وروي عن ابن عباس نفسه أنه قال : «بما تركت من عهدك»[٦] . وهو قول الكلبي يقول : «ما تركت من وصيتك»[٧] . وعلى هذا القول ، النسيان بمعنى :

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤٠٩ .

(٢) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ذكرته كتب التفسير واللغة من دون نسبة . انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٢٨٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٧ ، والقرطبي ١١/ ١٩ ، ومجاز القرآن ١/ ٤٠٩ ، والدر المصون ٧/ ٥٢٨ ، وشواهد الكشاف ١٣٠ ، واللسان (أمر) ١/ ١٢٩ .

(٣) روح المعاني ١٥/ ٣٣٧ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٨٥ ، وتفسير القرطبي ١١/ ١٩ ، وفتح القدير ٣/ ٤٣٢ ، ولسان العرب (أمر) ١/ ١٢٩ .

(٥) سبق تخريج الحديث في أول القصة . انظر : جامع البيان ١٥/ ١٨٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٥ .

(٦) جامع البيان ١٥/ ٢٨٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٧ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ أ .

(٧) النكت والعيون ٣/ ٣٢٨ ، وذكر في بحر العلوم ٢/ ٣٠٧ من دون نسبة ، وكذلك جامع البيان ١٥/ ٢٨٥ ، والكشاف ٢/ ٤٩٣ .

الترك ، لا بمعني الغفلة . وروي عن أُبي بن كعب نفسه أنه قال : «لم ينسها ولكنها من معاريض الكلام»[١] . وهذا القول مروي عن أبي عمرو بن العلاء قال : «ما كان نسي[٢] ، ولكن هذا من معاريض الكلام»[٣] . ومعنى هذا : أنه اعتذر بالنسيان كالعادة في الكلام ، وأن لفظ النسيان كثيراً ما يذكر معترضاً به من غير حقيقة . وقال بعضهم : «أراد أنه لم يقل له : نسيت ، فيكون كاذباً ، ولكنه قال : ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ فأوهمه النسيان تعريضاً»[٤] . وقد حصل في قوله : ﴿بِمَا نَسِيتُ﴾ ثلاثة أوجه[٥] .

قوله تعالى : ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ .قال ابن عباس في رواية عطاء : «تلحقني»[٦] . روى سلمة عن الفرَّاء : «رهِقَني الرجل ، يَرْهَقني ، رهقاً ؛ أي لَحِقَني وغَشِيَني ، وأَرْهَقته إذا أَرْهَقَته غيرك»[٧] .

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٢٨٥ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ أ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٦٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٠ ، وروح المعاني ١٥/ ٣٣٨ .

(٢) في (ص) : (مني) ، وهو تصحيف .

(٣) لم أقف عليه عن أبي عمرو ، وذكره جامع البيان ١٥/ ٢٨٥ ، ونسبه إلى أُبي بن كعب ، وكذلك الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٦٢ ، وزاد المسير ٥/ ١٧١ ، والدر المنثور ٤/ ٤٢٨ ، وذكره أيضاً بحر العلوم ٢/ ٣٠٧ ، ونسبه إلى ابن عباس ، وكذلك معالم التنزيل ٥/ ١٩٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠ .

(٤) المحرر الوجيز ٩/ ٢٦٢ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٧ .

(٥) القول الأول ـ والله أعلم ـ هو الراجح ، وهو قول جمهور العلماء . قال ابن جرير الطبري ١٥/ ١٨٤ : «والصواب من القول في ذلك أن يقول : إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه وهو لعهده ذاكراً للصحيح عن رسول الله ﷺ بأن ذلك معناه من الخبر» . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٣٦٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٠ .

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٢٨ من دون نسبة .

(٧) تهذيب اللغة (رهق) ٢/ ١٤٧٩ .

وقال أبو إسحاق : «معنى ﴿تُرْهِقْنِي﴾ تغشيني»[١] . ونحو ذلك قال ابن قتيبة[٢] ، وهو قول العامة . ويغشني ويلحقني بمعنى واحد ، ومَن لحق شيئاً فقد غشيه .

وقال الكلبي في قوله : «﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ :لا تكلفني»[٣] قال أبو زيد : «أرهقتُه عُسْراً إذا كلَّفته ذاك»[٤] . وهذا قريب من الأول ، والكلام في هذا الحرف قد سبق عند قوله : ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس :٢٦] .

ومعنى الآية : عاملني باليسر لا بالعسر ، ولا تضيق عليَّ الأمر في صحبتي إياك[٥] .

وقال الفرَّاء في قوله : ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ : «لا تعجلني»[٦] .

قال ابن شميل : «أرهَقَني القوم أن أصلِّي ؛ أي أعْجَلُوني»[٧] .

وقال ابن الأعرابي : «إنه لرَهِقٌ ؛ أي سريع إلى الشر سريع الحِدَّة»[٨] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٢ .
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٩ .
(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٢٨ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٧ من دون نسبة .
(٤) تهذيب اللغة (رهق) ٢/ ١٤٨٩ .
(٥) جامع البيان ١٥/ ١٨٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٠ .
(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٥ .
(٧) تهذيب اللغة (رهق) ٢/ ١٤٨٩ ، وتاج العروس (رهق) ١٣/ ١٨٣ .
(٨) تهذيب اللغة (رهق) ٢/ ١٤٨٩ ، ولسان العرب (رهق) ٣/ ١٧٥٦ .

وقال الكسائي : «فيه رَهَق ؛ أي خفّة وحدّة»[١] . والأحسن في تفسير ﴿تُرْهِقَنِي﴾ مع قوله : ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ قول ابن عباس ، والكلبي . وقول الفرَّاء بعيد في تفسير الآية ، لا يحسن أن نقول : لا تعجلني من أمري عسراً ، والله أعلم .

٧٤. وقوله تعالى : ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ . في حديث أُبي بن كعب : «أنهما خرجا مع الصبيان فقال به هكذا ، كأنه اجتذب رأسه فقلعه . وأشار عبدالرزاق[٢] حين روى هذا الحديث بأصابعه الثلاثة : السبابة ، والوسطى ، والإبهام وفتحها»[٣] .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس : «أن ذلك الغلام كان من أحسن أولئك الغلمان وأصبحهم»[٤] .

---

(١) لسان العرب (رهق) ٣/ ١٧٥٦ .

(٢) عبدالرزاق بن همام بن نافع الحافظ أبو بكر الحميري بالولاء ، من علماء اليمن ، حدَّث عن جماعة منهم : الأوزاعي ، والثوري ، ومالك بن أنس ، وحدَّث عنه الإمام أحمد وغيره ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢١١هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٨ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٩ ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٣ .

(٣) سبق تخريج الحديث في أول القصة . انظر : تفسير القرآن للصنعاني ١/ ٣٤٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٦٤ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٨٦ ، وذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ أ ، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠٨ .

وقال أبو العالية : «كان الخضر عبداً لا تراه الأعين ، ورآه موسى ، ولو رآه الناس يقتله ما تركوه»[١] .

قال موسى حين رأى ذلك : ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد : «لم يبلغ الحلم»[٢] . ومعنى الزاكية : الطاهرة من الذنوب ، وذلك ؛ لأنه كان صغيراً لم يبلغ حد التكليف . وقُرئ : زاكية[٣] . وهي البرئية من الذنوب . كذا قال الأعمش وغيره ، وهو قول أبي إسحاق[٤] . وقال الفرَّاء : «الزَاكِية والزَكِية مثل : القَاسِية والقَسِية»[٥] .

قال الليث : «الزكاة : الصلاح»[٦] . ورجل زاكٍ وزَكِي ؛ أي تَقِي ، ومنه قوله تعالى : ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ [الكهف :٨١] ؛ أي صلاحاً .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٠ ، وفتح القدير ٣/ ٤٣٦ ، قال رحمه الله : «وأقول ينبغي أن ينظر من أين له هذا ؟ فإن لم يكن مستنداً إلَّا قوله : ولو رآه القوم . . . إلخ ، فليس ذلك بموجب لما ذكره ، أمَّا أولاً : فإن من الجائز أن يفعل ذلك من غير أن يراه أهل السفينة وأهل الغلام ، لا لكونه لا تراه الأعين بل لكونه فعل ذلك من غير إطلاعهم . وأمَّا ثانياً : فيمكن أن أهل السفينة وأهل الغلام قد عرفوه وعرفوا أنه لا يفعل ذلك إلَّا بأمر من الله كما يفعل الأنبياء ، فسلموا لأمر الله . انظر : أضواء البيان للشنقيطي ٤/ ١٧٣ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٩١ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب ، وزاد المسير ٥/ ١٧٢ .

(٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمر (زاكية) بالألف ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿زَكِيَّةًۢ﴾ بغير ألف مع التشديد . انظر : السبعة ٣٩٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٧ ، والتبصرة ٢٥٠ ، وحجة القراءات ٤٢٤ ، والنشر ٢/ ٣١٣ .

(٤) معاني القرآن ٣/ ٣٠٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٥ .

(٦) تهذيب اللغة (زكا) ٢/ ١٥٤٢ .

قال الكسائي : «والفعل منه زَكَوْتُ ، يزْكُو ، زُكُواً ، وزكاءً ممدود»[١] . هذا الذي ذكرنا أنه كان صبياً لم يبلغ الحنث ، قول أكثر المفسرين[٢] .

وقال الضحاك : «كان غلاماً يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه»[٣] .

وقال الكلبي : «كان يقطع الطريق»[٤] . وعلى هذا ، معنى قوله : (زاكية) ما قاله قتادة : «الزاكية التائبة»[٥] . يعني النامية ، وكل شيء يزداد ويسمن فهو يزكو ، زكاء ، والمعنى : أنه كان غلاماً في مقتبل الشباب[٦] . أو تقول معنى زاكية على تفسير الضحاك والكلبي : «أنها كانت زاكية في رأي العين ؛ لأنه لم يجن جناية توجب قتله بحضرة موسى»[٧] .

وقوله تعالى : ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ .قال ابن عباس : «يريد من غير قود»[٨] . والمعنى : بغير قتل نفس : ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ ؛ أي فظيعاً منكراً لا يعرف . قال قتادة : «والنكر أشد من الإمر»[٩] . وهو اختيار ابن كيسان[١٠] . والمعنى على هذا : لقد جئت شيئاً أنكر من الأول .

---

(١) الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب ، وذكر نحوه من دون نسبة تهذيب اللغة (زكا) .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٩١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٦٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٢ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ١٩١ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب .

(٥) جامع البيان ١٥/ ٢٨٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٢٩ .

(٦) النكت والعيون ٣/ ٣٢٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٣ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ٢٨٦ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب .

(٨) جامع البيان ١٥/ ٢٨٦ بغير نسبة .

(٩) جامع البيان ١٥/ ٢٨٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٢٨ .

(١٠) الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب .

وقال أبو إسحاق : «﴿نُكْرًا﴾ : أقل من قوله : ﴿إِمْرًا﴾ ؛ لأن تغريق مَن في السفينة كان عنده أنكر من قتل نفس واحدة»[١] . وانتصاب قوله : ﴿شَيْئًا نُّكْرًا﴾ على المفعول به ؛ لأن المعنى : أتيت شيئاً نكراً . قال الزجَّاج : «ويجوز أن يكون معناه جئت بشيء نكر ، فلما حذف الباء أمضى الفعل فنصب»[٢] .

٧٦. قوله تعالى : ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ . قال أهل المعاني : أراد إن سألتك سؤال توبيخ وإنكار ، كما قال في السفينة : ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ ، وفي الغلام : ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ ، وذاك أن السؤال على وجوه : منه ما هو طلب الإخبار عن المعنى للفائدة ، ومنه ما هو للتقرير ، ومنه ما هو للتوبيخ . والكناية في قوله : ﴿بَعْدَهَا﴾ تعود إلى النفس المقتولة .

وقوله تعالى : ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ قال ابن عباس : «يريد أنك قد أعذرت في ما بيني وبينك ، وقد أخبرتني أني لا أستطيع معك صبراً»[٣] . وقال أهل المعاني : «هذا إقرار من موسى بأن الخضر قد قدم إليه ما يوجب العذر عنده ، فلا يلزمه ما أنكر»[٤] .

وروي أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال : «استحيا نبي الله موسى عندها ، ولو صبر لرأى ألفاً من العجائب»[٥] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٣ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٣ .

(٣) زاد المسير ٥/ ١٧٥ .

(٤) ذكر نحوه المحرر الوجيز ٩/ ٣٦٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٦ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير (سورة الكهف) ٨/ ٤٠٩ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل الخضر ٤/ ١٨٥١ ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٥/ ١٨٦ ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه ٥/ ٤٦٣ ، وأبو داود في سننه في كتاب الحروف والقراءات ٤/ ٢٨٦ ، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٢١٩ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٧٤ ، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ٤٢٨ .

واختلف القرَّاء في قوله : ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ فقراءة العامة : بتشديد النون ، وقرأ أهل المدينة : بتخفيفها[١] .

قال أبو إسحاق : «الأجود تشديد النون ؛ لأن أصل نون لَدُنْ الإسكان ، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نوناً ليِعْلَمَ سكون النون الأولى ، تقول : من لدنْ زيدٍ ، فتسكن النون ثم تضيف إلى نفسك فتقول : من لَدُنِي ، كما تقول : عن زيدٍ ، ثم تقول : عَنِي»[٢] .

وقال أبو علي : «مَن قال : من لَدُنِّي زاد النون التي تزاد مع علامة المضمر المجرور والمنصوب ، في نحو مِنِّي ، وعَنِّي ، وقَطْنِي ، وضَرَبَني ، فأدغم الأولى الساكنة في التي تزاد مع الضمير ، فصار من لدنِّي ، وهذا هو القياس والذي عليه الاستعمال . ومَن خفف فإنه لم يلحق النون التي تلحق علامة الضمير في نحو : ضَرَبني ، وقدني كما قال[٣] :

قَدْنِي مِنْ نصرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِيْ

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ بتشديد النون ، وقرأ نافع (من لَـدُنِي) بضم الدال مع تخفيف النون ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (من لدني) بشم الدال شيئاً من الضم ، مع تخفيف النون . انظر : السبعة ٣٩٧ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٦٠ ، والتبصرة ٢٥٠ ، وحجة القراءات ٤٢٤ ، والنشر ٢/ ٣١٣ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٣ .

(٣) هذا صدر بيت لحميد بن مالك الأرقط ، وعجزه :

ليسَ الإمامُ بالشحيحِ الملحِدِ

قَدْني : حسبي . والخبيبان : عبدالله بن الزبير وابنه ، وقيل : هما عبدالله وأخوه مصعب . انظر : الكتاب ٢/ ٣٧١ ، والخزانة ٥/ ٣٨٢ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٦١ ، والمحتسب ٢/ ٢٢٣ ، والكامل ٨٤ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٤ ، ومغني اللبيب ١/ ١٧٠ ، والإنصاف : ص ١٠٨ ، ولسان العرب (خب) ٢/ ١٠٨٧ .

لم يلحق النون ، كذلك قرأ نافع : لدني . ولا تكون النون المحذوفة نون لدن لثبوته في قولك : لدنه ، ولدنك ، ولدنَّا»[١] .

وقال أبو إسحاق : «ومَن قال : لدني ، لم يجز له أن يقول : عَنِي ، ومِنِي ؛ لأن لَدُن اسم غير متمكن ، ومِنْ ، وعَنْ حرفان جاءا لمعنى ، ولدن مع ذلك أثقل من : مِنْ ، وعَنْ ، والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم : قدني ، في معنى : حسبي»[٢] ، هذا كلامه . وذكر الفرق بين لدني مخفف ، ومتى خفف لا يجوز من وجهين .أحدهما : أن لَدُنْ اسم والاسم يجوز الحذف فيه كقولهم : قَدِي . والآخر : أن لدن أثقل من (من) .

وقال أبو علي في ما استدرك عليه : «النون مع الياء التي للمتكلم إنما اجتلبت ليسلم سكون الحرف ، كما اجتلبت في (قد) ، كذلك ثم استجيز الحذف في لدن ، كما استجيز في (قد) : (قدي) ، فيجب أن ينظر في أي موضع يجوز الحذف في (قدي) ، فيجوز في لدن على ذلك الحد . فوجدنا الحذف في (قد) إنما وقع في الضرورة في الشعر دون الكلام ، ولم يجيء الحذف في غير الشعر ، فإذا كان كذلك فلا يستحسن على هذا الحذف في القراءة من لدني ؛ لأنه ليس بموضع ضرورة ، ولم يفصل أبو إسحاق ما يجوز في الشعر ، مما يجوز في الكلام والقرآن ، حتى صار الجائز في الضرورة يتوهم من كلامه جوازه في الكلام . فإن قيل : إن الحذف للنون في (لدني) أدنى مزية في الحسن على (قدي) لاجتماع المثلين فيه وهم يكرهون اجتماعهما ، فيكون الحذف فيه أمثل منه في (قدي) ، فيجوز في الكلام . قلنا : ليس بأمثل ؛ لأن المثلين ليسا بلازمين ، فلا يستحسن فيهما ما يستحسن في اللازمين من الحذف للتخفيف ، على أنه قد يجرى غير اللازم مجرى اللازم في الإدغام نحو : علماء بنو فلان ، وكثير من الأحكام . وإجازة (لدني) في الكلام قياساً على هذا

(١) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٦١ ، والإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٦٨ .
(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٣ .

وجيه ، والأول أعجب إلينا . وأمَّا فصله بين (لدني) ، و(مني) ، بأن أحدهما اسم والآخر حرف ، فغير صحيح ؛ لأنه لو امتنع الحذف في [منِّي وعنِّي ؛ لأنهما حرفا معنى لامتنع في إنِّي وأنَّني ، ولَعَـلِّي ولَعَلَّنِي ، وكأنِّي وكأنَّنِي ، وليتني وليتي ، فلمَّا لم يمتنـع الحـذف في][1] النون من هذه الكلم وهي حـروف ، دل أن الحذف في النـون من منِّي لم يمتنع من حيث كان حرفـاً ، ولذلك لم يجر الحذف في لدني من حيث كان اسـماً ، وليس في كون الكلمة اسماً ما يوجب الحذف منه أو يجوزه فيه ، بل ظاهر الأمر يوجب أن تبقية الزيادة في الاسـم أولى ، إذ الاسم للزيادة أحمل ، وإنـما امتنع الحذف في مني وعني ؛ لأن هذه النون [اجتلبت ليسـلم به سـكون الحرف كما][2] اجتلبت لتسلم به الحركة في ضربني ويضربني ، فحذفه هو خلاف ما قصدوا له وإبطاله ، والحذف في قدي إنما جاز في الشـعر للضرورة ، والشاعر إذا اضطر حـذف ، وردَّ الكلمة إلى الأصل ، ولو اضطـر فحذف في مني وعني لجاز ذلك أيضـاً وكان أمثل من قدي ؛ لأنه مثلان في قد ، وما لم تجتمع المتماثلة أو المتقاربة لم يحسـن الحذف في الكلام ، وإنما يجيء في الضرورة ، ألا ترى أن ليت لمَّا لم يجتمع المماثلة فيه لم يحذف في الـكلام ، وإنما جاء الحذف في بيت الكتاب . وأمَّا قوله : «ولدن أثقل مـن مني ، فلذلك حذف» فليس بشيء أيضاً ، ألا ترى أنه قد حذف من قد وهو مثل : من في أنـه على حرفين ، فليس الحذف في هذه الحروف معتبراً به لثقلها ولخفتها ، وإنما الإثبات في هذه الحروف لما ذكرت من أنه ليسـلم السكون أو الحركة ، والحذف للضرورة إلَّا عند اجتماع الأمثال نحو : كأن ، وأن ، أو المتقاربـة : كلعل ، فإن هذا يجوز في الكلام ، والأحسـن في لدن ألَّا يحذف في الكلام ويلحق بباب قد»[3] .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ومثبت في بقية النسخ .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في الأصل .

(٣) الإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٧٢-٩٩٠ .

وروى أبو عبيدة عن الكسائي عن أبي بكر عن عاصم : (من لدن بضم اللام وتسكين الدال)[١] . قال ابن مجاهد : «وهو غلط»[٢] .

قال أبو علي : «يشبه أن يكون التغليط منه في وجه الرواية ، فأمَّا من جهة اللغة ومقاييسها فهو صحيح ، ألا ترى أن عَضُد إذا خفف فتخفيفه على ضربين أحدهما : أن تحذف الضمة وتبقى فتحة الفاء على حالها ، فيقال : عَضْدٌ . والآخر : أن تلقى الحركة التي هي الضمة على الفاء ، وتحذف الفتحة فيقال : عُضْدٌ[٣] . وكذلك[٤] : أرني ، ولدني ، إلَّا أن التخفيف في لدني مستقبح من حيث إنه امتناع بعد الحذف والنون ، وإن كسرت من أجل مجاورة الياء في نية سكون ، فكما أنه إذا سكنت النون لم يجز الإسكان في الدال ، كذلك إذا حركت وكانت في نية سكون ، ألا تراهم قالوا : لم يردد الرجل ؟ فلم يدغموا لَمَّا كان الآخر في نية سكون ، كما لم يدغموا إذا كان على لفظ السكون ، ووجه الجواز فيه ما مر من أنه قد يجري المنفصل مجرى المتصل في نحو : وَهُوَ ، ولَهُو ، هذا الذي ذكرنا الكلام في وجوه القراءة[٥] . فأمَّا حكم هذه الكلمة : فاعلم أن لدن اسم غير متمكن ، حذفت اللام منها في حال الإضافة إلى المظهر في نحو قولهم : مِنْ لدُ الحائط . وقول الشاعر[٦] :

مِنْ لَدُ شَوْلاً فإلى إتلائِها

---

(١) السبعة ٣٩٧ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٦٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٧ .

(٢) السبعة ٣٩٧ .

(٣) الحجة في للقراء السبعة ٥/ ١٦٢ .

(٤) في (ص) : (ولذلك) .

(٥) السبعة ٣٩٧ ، والحجة للقراءات السبعة ٥/ ١٦١ ، والمبسوط ٢٣٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٦٩ ، والنشر ٢/ ٣١٣ .

(٦) هذا من مشطور الرجز لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ذكرته كتب اللغة بلا نسبة .
الشَّوْل : النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها ، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية ، وقيل غير ذلك . والإتلاء : مصدر أتلت الناقة إذا تلاها ولدها ؛ أي تبعها . انظر : الكتاب ١/ ١٣٤ ، وخزانة الأدب ٢/ ٨٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٦/ ٢٨٧ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥٤٦ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٢٥ ، وأوضح المسالك : ص ٤٩ ، والمقاصد النحوية ٢/ ٥١ ، ولسان العرب (لدن) ٧/ ٤٠٢٢ .

و[١] :

مِنْ لَدُ لَحييهِ إلى منحورِهِ

وكان القياس ألَّا يحذف منه شيء لمشابهة الاسم للحرف في البناء ، والحروف لا تحذف إذا لم تكن مضاعفة ، وليس هنا تضعيف ، إلَّا أنه لمَّا كان اسماً -وإن كان مشابهاً لحروف اللين - استجيز الحذف فيه في حال الإضافة إلى المظهر ، فألزم الرد في حال الإضافة إلى المضمر ، ليكون ذلك دلالة على أن الحذف لم يكن بقياس فيه ، فكأنه جرى مجرى الأشياء التي تحذف في اللفظ للتخفيف ، والمراد إثباتها ، فإذا اتصل بالمضمر رد إلى أصله كقولهم : أعْطَيْتُكُمُوه ونحوه ، كذلك قيل في هذا : من لدنه ولدنا» . هذا كلام أبي علي[٢] .

وقال ابن كيسان : «لَدُن حرف يَخْفِض ، وربما نُصِب بها ، وقال : وحكى البصريون : إنها تنصب غدوة خاصة من بين الكلام»[٣] . وأنشدوا[٤] :

ما زالَ مُهري مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ لدنْ غُدْوَةً حتى دنَتْ لغروبِ

(١) هذا عجز بيت لغيلان بن حريث يصف فيه فرساً أو بعيراً بطول العنق ، وصدره :

يستوعبُ البَوْعَيْنِ مِنْ جريرِهِ

اللحي : العظم الأسفل من الشدق ، والمنحور والنحر : الصدر . انظر : الكتاب ٤/ ٢٣٤ ، والمخصص ١٤/ ٦٠ ، وشرح شواهد الشافية ١٦١ ، والإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني : ص ٩٦٩ ، واللسان (لدن) ٧/ ٤٠٢٢ .

(٢) الإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٦٩-٩٧١ .

(٣) تاج العروس (لدن) ١٨/ ٥٠٦ ، ولسان العرب (لدن) ٧/ ٤٠٢٢ .

(٤) البيت لأبي سفيان بن حرب . انظر : الحيوان ١/ ٣١٨ ، والدرر ٣/ ١٣٨ ، وجواهر الأدب ١٢٨ ، والروض الأنف ٣/ ١٦٤ ، والمقاصد النحوية ٣/ ٤٢٩ ، وتاج العروس (لدن) ١٨/ ٥٠٦ ، ولسان العرب (لدن) ٧/ ٤٠٢٢ .

وأجاز الفرَّاء في(غُدْوَة) الرفع ، والنصب ، والخفض[١] . قال ابن كيسان : «مَن خفض بها أجراها مجرى : مِنْ ، وعَنْ ، ومَن رفع أجراها مجرى مُذْ ، ومَن نصب جعلها وقتاً ، وجعل ما بعدها ترجمة عنها»[٢] . وإن شئت أضمرت كان ، كما قال[٣] :

مِنْ لَدُ شَوْلاً فإلى إتلائِها

أراد : مِنْ لَدُ كانَتْ شولاً . وحكى أبو عمرو عن أحمد بن يحيى ، والمُبرِّد أنهما قالا : «العرب تقول لَدُن غُدْوَةٌ ، وغُدْوَةً ، وغُدوةٍ ، فمَن رفع أراد : لدن كانت غدوةٌ ، ومَن نصب أراد : لَدُنْ كان الوقت غدوةً ، ومَن خفض أراد : من عند غدوةٍ»[٤] .

وقال أبو الفتح الموصلي : «إنهم شبهوا النون في لدن بالتنوين في ضارب فنصبوا غدوة ، نحو : هذا ضارب زيداً ، ووجهه الشبه بينهما اختلاف حركة الدال قبل النون ، وذلك لأنه يقال : لدن ، ولدن بفتح الدال وضمها ، فلمَّا اختلفت الحركات قبل النون شابهت النون التنوين ، وشابهت الحركتان قبلها باختلافهما حركات الإعراب في نحو : ضَارِبٌ ، وضارباً ، فلمَّا أشبهت النون التنوين من حيث ذكرنا انتصب غدوةً تشبيهاً بالمفعول ، وكذلك شبه بعضهم غدوةً بالفاعل ، فرفعها فقال : لدن غدوةٌ ، كما تقول : أقائم زيد ؟ ومنهم مَن يلزم القياس فيها ، فيجر بها فيقول : لدن غدوةٍ»[٥] .

---

(١) سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٤٣ ، ولسان العرب (لدن) ٧/ ٤٠٢٢ .

(٢) تاج العروس (لدن) ١٨/ ٥٠٦ ، ولسان العرب (لدن) ٧/ ٤٠٢٢ .

(٣) سبق عزو البيت وتوثيقه .

(٤) تهذيب اللغة (لدن) ٤/ ٣٢٥٦ ، وتاج العروس (لدن) ١٨/ ٥٠٦ ، ولسان العرب (لدن) ٧/ ٤٠٢٢ .

(٥) سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٤٢ .

قال سيبويه : «ولا تنصب مع لدن غير غُدوة ، فلا تقول : لدن بكرةً ؛ لأنها لم تكثر في كلامهم كثرة غدوة»[١] .

قال أبو الفتح : «ويزيد عندك في شبه نون لدن بتنوين اسم الفاعل ، أن العرب قد حذفتها في بعض المواضع تخفيفاً ، فقالت : من لَدُ الحائط ، ولَدُ الصلاةِ ، وقد حذفوها أيضاً ولا ساكن بعدها . أنشد سيبويه[٢] :

مِنْ لَدُ شَوْلاً فإلى إتلائِها

فلمَّا حذفت النون تارة ، وثبتت أخرى ، قوي شبه النون بالتنوين الذي حذف تارة وثبت أخرى»[٣] .

وقال القاضي أبو سعيد السيرافي في[٤] حكم لدن : «أن يخفض بها على الإضافة ؛ لأن النون من أصل الكلمة بمنزلة الدال من عند ، كما قال الله تعالى : ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل :٦] ، ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود :١] غير أن من العرب مَن ينصب بها ، وإنما يفعل ذلك ؛ لأنه ينزع النون عنها فيقال : لَدُ ، فشبهت الأصلية بالزائدة حين ثبتت في حال وسقطت في حال ، كما ثبتت الزائدة في حال وسقطت في حال»[٥] .

وكنت قد وعدت في أول هذه السورة ، عند قوله : ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف :٢] بسط الكلام في هذا الحرف ، وقد ذكرت ذلك على حد الإيجاز ، والله المستعان .

---

(١) الكتاب لسيبويه ١/ ٢١٠ ، ٣/ ١١٩ .

(٢) سبق عزو البيت وتوثيقه .

(٣) سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٤٦ .

(٤) قوله : (في) : ساقط من نسخة (ص) .

(٥) ذكر نحوه بلا نسبة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٨٧ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥٤٦ ، والإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٦٦ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٣ .

٧٧. قوله تعالى : ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ هي أنطاكية[١] في قول ابن عباس[٢] ، والأيلة في قول ابن سيرين[٣] .

وقوله تعالى : ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ .روى أُبي بن كعب أن النبي ﷺ قال : «كانوا أهل القرية لئاماً»[٤] . والتضييف والإضافة فيه بمعنى واحد ، يقال : ضافَه وتَضَيَّفه إذا نزل به وصار له ضيفاً ، وأضافه وضيَّفه إذا أنزله وقراه ، وأصل هذا في اللغة : من الميل والإمالة ، يقال : ضاف يضِيف إذا مال ، وأضافه إذا أماله ، يقال : هذا مُضاف إلى كذا ؛ أي ممال إليه ، ومنه قيل للدَّعي : مُضاف ؛ لأنه مستند إلى قوم ليس منهم[٥] .

---

(١) أنطاكية (بالفتح ثم السكون) : قصبة العواصم من الثغور الشامية ، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها ، موصوفة بالنزاهة ، والحسن ، وطيب الهواء ، وعذوبة الماء ، وكثرة الفواكه ، وسعة الخير ، قيل : إن أول مَن بناها وسكنها أنطاكية بنت الروم بن اليقن بن سآم بن نوح عليه السلام ، وقيل : إن أول مَن بناها أنطيغونيا في السنة السادسة من موت الإسكندر ولم يتمها ، فأتمها بعد سلوقوس ، وقيل غير ذلك ، وفتحها أبو عبيدة بن الجراح سار إليها من حلب ، وألزم أهلها بالجزية . انظر : معجم البلدان ١/ ٢٦٦ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٩٢ ، وذكر في المحرر الوجيز ٩/ ٢٧٠ من دون نسبة ، وزاد المسير ٥/ ١٧٥ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٨٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٤ .

(٤) سبق تخريج الحديث وعزوه في بداية القصة .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ضاف) ٣/ ٢٠٨٠ ، والقاموس المحيط (الضيف) ٨٣٠ ، ومقاييس اللغة (ضيف) ٣/ ٣٨٠ ، والصحاح (ضيف) ٤/ ١٣٩٢ .

ومنه قوله ﷺ في النهي عن الصلاة : «إذا أضفت الشمس للغروب»[١] . أي مالت .

قال أبو عبيد : «ومنه سمي الضَّيف ضيفاً ، يقال : ضِفْت فلاناً إذا ملت إليه ، وأضفته : إذا أَمَلْتَه إليك»[٢] . ومن الناس مَن فرق بين التضييف والإضافة ، قال شمِر : «سمعت رجاء بن أبي سلمة[٣] يقول : التَّضييف الإطعام ، تقول : ضيَّفته إذا أطعمتَه ، وأضافه إذا لم يُطْعِمْهُ . وقال في هذه الآية معناه : فأبوا أن يطعموهما»[٤] .

وقال أبو الهيثم : «هما عندنا بمعنى واحد»[٥] . وقال الفرَّاء في هذه الآية : «لو قُرئت يُضيفُوهُما كان صواباً»[٦] .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز ، باب الدفن عند طلوع الشمس وعند غروبها ٣/ ٥٣١ ، والترمذي في كتاب الجنائز ، باب كراهية الصلاة على الجنازة عند طلوع الشمس وعند غروبها ٣/ ٣٤٨ ، وقال : «حديث حسن صحيح» ، والنسائي في كتاب الجنائز ، باب : الساعات التي نُهي عن إقبار الموتى فيهن ٤/ ٦٢ ، وابن ماجه في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الأوقات التي لا يصلى فيها على الميت ولا يدفن ١/ ٤٨٦ ، والإمام أحمد ٤/ ١٥٢ ، وأورده الألباني في إرواء الغليل ٢/ ٢٣٦٨ ، وقال : صحيح .

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٢ ، وتهذيب اللغة (ضاف) ٣/ ٢٠٨٠ .

(٣) رجاء بن أبي سلمة مهران أبو المقدام الفلسطيني ، نزل البصرة ثم تحول إلى الشام ، روى عن عمر بن عبدالعزيز ، وعمرو بن شعيب ، والزهري ، وغيرهم ، وروى عنه ابن عون ، وابن عبلة ، وبشر بن المفضل وغيرهم ، وثقه العلماء ، وكان من أفاضل أهل زمانه ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٦١هـ ، وله من العمر سبعون سنة . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ٥٠٣ ، والكشاف ١/ ٣٠٨ ، وحلية الأولياء ٦/ ٩٢ ، وتهذيب الكمال ٩/ ١٦١ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٣١

(٤) تهذيب اللغة (ضاف) ٣/ ٢٠٨١ ، ولسان العرب (ضيف) ٥/ ٢٦٢٥ .

(٥) تهذيب اللغة (ضاف) ٣/ ٢٠٨١ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٥ .

وقوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ هو الجَدْرُ ، والجِدَارُ ، ومنه الحديث : «حتى يبلغ الماء الجَدْرَ»[(١)] . ومكان جَدِير ومجدور : قد بني حواليه جدار ، وأصله من الرفع ، ومنه : أجدرت الشجرة إذا أخرجت في الربيع وأطلعت ، ومنه : الجدري[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ الإرادة في صفة الجدار مجاز عند جميع أهل المعاني ، ومعناه : قرب أن ينقض ، وذلك على التشبيه بحال مَن يريد أن يفعل[(٣)] .

قال الفرَّاء : «وذلك من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط»[(٤)] . ومثله قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف :١٥٤] ، وقوله : ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد :٢١] ، يريد : أن إضافة السكوت إلى الغضب ، والعزم إلى الأمر ، كإضافة الإرادة إلى الجدار .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح ، باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه ٣/ ١٧١ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ، باب وجوب اتباعه ﷺ ٤/ ١٨٢٩ ، وأبو داود في سننه في كتاب الأقضية ، أبواب : من القضاء ٤/ ٥١ ، والترمذي في جامعه في كتاب الأحكام ، باب ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء ٣/ ٦٤٤ ، والنسائي في سننه في كتاب آداب القضاة ، باب الرخصة للحاكم الأمين أن يحكم وهو غضبان ٨/ ١٧٣ ، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (جدر) ١/ ٥٥٧ ، ومقاييس اللغة (جدر) ١/ ٤٣١ ، والقاموس المحيط (الجدار) ٣٦٢ ، والصحاح (جدر) ٢/ ٦٠٩ .

(٣) النكت والعيون ٣/ ١٧٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٧١ ، والكشاف ٢/ ٣٩٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥١ . ذهب قوم إلى منع المجاز في القرآن ؛ إذ قال الشنقيطي في أضواء البيان : ٤/ ١٧٩ : «وزعم مَن لا علم عنده : أن هذه الأمور لا حقيقة لها ، وإنما هي ضرب أمثال زعم باطل ، لأن نصوص الكتاب والسُّنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلَّا بدليل يجب الرجوع إليه ، وبذلك تعلم أنه لا مانع من إبقاء إرادة الجدار على حقيقتها ، لإمكان أن يكون الله علم منه إرادة الانقضاض وإن لم يعلم خلقه تلك الإرادة ، مع أنه من الأساليب العربية إطلاق الإرادة على المقاربة والميل إلى الشيء» .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٦ .

وقال الكسائي : «قوله للجدار : ﴿يُرِيدُ﴾ من أفصح كلام العرب ، وإنما إرادة الجدار ميله»[١] .

قال أبو عبيد : «وهذا كقوله ﷺ : «لا تتراءى ناراهما»[٢] . وإنما هو أن تكون نار كل واحدة من صاحبتها بالموضع الذي لو قام فيه إنسان رأى الأخرى في القرب[٣] .

وقال ابن قتيبة : «الجدار إذا أشرف على الانهيار يقال فيه : جدار يهم أن ينقض ، أو يكاد ، أو يقارب ، وأيّاً ما يقال فقد جعل فاعلاً ، ولا يوصل إلى هذا المعنى إلّا بمثل هذه الألفاظ . قال : والعرب تقول بأرض بني فلان شجر قد صاح ، إذا طال وتبين للناظر بطوله جعلوه كأنه صائح ، لأن الصائح يدل على نفسه بصوته»[٤] . ويقال : شجر واعد إذا نور ؛ كأنه لمّا نور وعد أن يثمر ، وكل هذا مجاز كلام العرب واستعارتهم ، وأنشد أبو عبيدة في مثل هذه الآية[٥] :

يريدُ الرمحُ صدرَ أبي براءٍ ويرغبُ عنْ دماءِ بني عُقَيْلِ

---

(١) ذكر نحوه بلا نسبة الكشاف ٢/ ٣٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥١ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد ، باب النهي عن قتل مَن اعتصم بالسجود ٣/ ١٠٤ ، والترمذي في جامعه ، كتاب السير ، باب ما جاء كراهية المقام بين أظهر المشركين ٤/ ١٣٢ ، والنسائي في كتاب القسامة ، باب القود بغير حديدة ٨/ ٢٦ ، والطبراني في المعجم الكبير ١/ ١٠٩ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٤١ ، وصحَّحه ووافقه الذهبي ، وأحمد في مسنده ٤/ ٣٦٥ ، والطبري في جامعه ١٥/ ٢٩٠ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ١٠/ ٤٣٢ ، وقال عنه الألباني في إرواء الغليل ٥/ ٢٩ : صحيح .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٩٠ .

(٤) تأويل مشكل القرآن ١٣٢ .

(٥) البيت للحارثي .
انظر : مجاز القرآن ١/ ٤١٠ ، وجامع البيان ١٥/ ٢٨٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣١ ، والكشاف ٢/ ٣٩٨ ، والقرطبي ١/ ١٦٨ ، ولسان العرب (رود) ٣/ ١٧٧٢ .

وأنشد الفرَّاء[١] :

إنَّ دهـراً يـلفُّ شـملي بـجمـلٍ لـزمـــانٌ يـهـــمُّ بـالإحســـانِ

وأنشد أبو عبيد لذي الرمة ، يذكر حوضاً دارساً قد كان[٢] :

. . . قدْ همَّ بالبيودِ

(١) البيت ينسب إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه .
الشَّمل : الاجتماع ، يقال : جمع الله شـملك ، وجمع الله شملهم ؛ أي ما تشتت من أمرهم . والجُمل : جماعة الشيء ، وأجمل الشيء : جمعه عن تفرقه . انظـر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٦ ، وجامع البيان ١٥/ ٢٨٩ ، والكشـف والبيان ٣/ ٣٩١ ب ، والكشـاف ٢/ ٣٩٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٦ ، وتهذيب اللغة (دهر) ٢/ ١٢٤٠ ، ولسان العرب (دهر) ٣/ ١٤٣٩ .

(٢) هذا شطر من بيت لذي الرمة يقول فيه :
مـنْ عـطـنٍ قـدْ هـمَّ بـالـبـيـودِ طـلاوةً مـنْ جـائـلٍ مـطـرودِ
بيد : باد الشيء يبيد بيوداً : إذا انقطع وذهب ، وباد يبيد إذا هلك . انظر : ديوان شعر ذي الرمة ١٦٠ ، وجامع البيان ١٥/ ٢٩٠ .

ومثل هذا كثير مستفيض في كلامهم . وقال أبو إسحاق : «الجدار لا يريد إرادة حقيقية ، إلَّا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت ، كما تظهر أفعال المريدين القاصدين ، فوصف بالإرادة إذا كانت الصورتان واحدة»[(١)] . وأنشد الراعي يصف إبلاً[(٢)] :

في مهمهٍ فلقتْ بهِ هاماتُها فلقَ الفؤوسِ إذا أردنَ نُصولا

وقوله تعالى : ﴿أَن يَنقَضَّ﴾ .معنى الانقضاض : السقوط بسرعة .يقال : انقض الحائط إذا وقع ، وانقض الطائر إذا هوى من طيرانه ليسقط على شيء . وقال الليث : «يقال : قضضنا عليهم الخيل فانقضت عليهم ؛ أي أوقعنا عليهم فوقعت ، وأنشد[(٣)] :

قَضُّوا غضاباً عليكَ الخيلَ منْ كثبٍ

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٦ . قال الطبري ١٥/ ١٨٧ : «والذي نقول به في ذلك : أن الله – عز ذكره – بلطفه جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم ليبين بعضهم لبعض عما في ضمائرهم مما لا تحسه أبصارهم ، وقد علمت أن معناه قد قارب من أن يقع أو يسقط ، وإنما خاطب ـ جَلَّ ثناؤه ـ بالقرآن مَن أنزل الوحي بلسانه وقد عقلوا ما عني به ، وإن استعجم عن فهمه ذو البلادة والعمى ، وضل فيه ذو الجهالة والغبا» .

(٢) البيت لعبيد بن حصين النميري الراعي . انظر : ديوانه ١٢٨ ، وجامع البيان ١٥/ ٢٩٠ ، والكشاف ٢/ ٣٩٨ ، والقرطبي ١١/ ٢٦ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٥٧ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٦ ، ووضح البرهان في مشكلات القرآن ٢/ ٣٩ ، ولسان العرب (رود) ٣/ ١٧٧٢ .

(٣) لم أهتدِ إلى قائله ، وقد ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (قض) ٣/ ٢٩٨٢ ، ولسان العرب (قضض) ٦/ ٣١٦١ .

وهذا قول مجاهد في هذه الآية : «يريد أن يسقط»[١] .

وقال آخرون : «معنى ﴿يَنقَضَّ﴾ ينكسر ، يقال : قضضت الشيء ، إذا كسرته ودققته ، ومنه قيل للحَصَى الصغار : قضض»[٢] . وكلا اللفظين ذكرهما المفسرون في تفسير ﴿يَنقَضَّ﴾ فقالوا : «ينكسر ويسقط» ، وذكرهما ابن قتيبة[٣] .

وقوله تعالى : ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ .روى ابن عباس عن أُبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : «انتهى إلى جدار مائل فدفعه بيده فقام»[٤] .

وقال مجاهد : «مسحه بكفه حتى استوى»[٥] .

ومعنى أقامه : سواه ، وذلك أن قوله : ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ معناه : مال ، كأنه قال : فوجدا جداراً قد مال فأقامه . فقال موسى : ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ﴾ ؛ أي على إقامته وإصلاحه ﴿أَجْرًا﴾ .قال الفرَّاء : «لو شئت لم تقمه حتى يقرونا فهو الأجر»[٦] .

وقال أبو إسحاق : «وذلك أنهما لَمَّا نزلا القرية لم يضيفهما أهلها ، فقال موسى : لو شئت لأخذت أجرة إقامتك هذا الحائط»[٧] .

---

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٩٠ ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٧٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٣ ، والكشاف ٢/ ٤٩٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٦ .

(٢) تهذيب اللغة (قض) ٣/ ٢٩٨٢ ، والقاموس المحيط (قضض) ٦٥٢ ، والصحاح (قض) ٣/ ١١٠٢ .

(٣) تفسير غريب القرآن : ص ٢٦٩ ، والنكت والعيون ٣/ ١٧٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥ .

(٤) سبق تخريج الحديث وعزوه في بداية القصة .

(٥) ذكر نحوه البغوي ٥/ ١٩٣ ، ونسبه إلى سعيد بن جبير ، وكذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٩/ ٣٧٤ ، والقرطبي ١١/ ٢٧ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٢٩ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٦ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٦ .

وروى هارون بن عنترة[١] عن أبيه عن ابن عباس في هذه الآية قال : «كان قول موسى في الجدار لنفسه لطلب شيء من الدنيا ، وكان قوله في السفينة وفي الغلام لله»[٢] .

وقراءة العامة : ﴿لَتَّخَذْتَ﴾ ، افتعلت من الأخذ . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : لَتَخِذْتَ[٣] . وهي قراءة مجاهد ، واختيار أبي زيد الأنصاري قال : «وكذلك هو مكتوب في الإمام ، ومَن قرأ : لاتخذت ، فإنه يخالف الكتابة»[٤] .

قال الليث : «يقال : اتَّخذ فلان يتَّخِذ اتِّخاذاً ، ويقال : تَخِذَ يتخذ تخذاً ، وتَخِذْتُ مالاً كسبتُه ، ألزمت التاء الحرف كأنها أصلية»[٥] . قال الفرَّاء : «وأصلها اتَّخَذَ افْتَعَل»[٦] .

---

(١) هارون بن عنترة بن عبدالرحمن الشيباني ، أبو عبدالرحمن بن أبي وكيع الكوفي ، تابعي ثقة ، روى عن أبيه ، وعن عبدالرحمن بن الأسود ، وسعيد بن جبير ، ومحارب بن دثار ، وروى عنه ابنه عبدالملك ، وعمر بن مرة ، وسفيان الثوري وغيرهم ، وثقه أكثر العلماء ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٤٢هـ . انظر : الثقات لابن حبان ٧/ ٥٨٢ ، والكاشف ٣/ ٢١٤ ، والجرح والتعديل ٩/ ٩٢ ، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٠ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٨٤ .

(٢) زاد المسير ٥/ ١٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٨ .

(٣) قرأ نافع ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم (لتَّخذْتَ) ، وكلهم أدغم إلاَّ ما روى حفص من عاصم ؛ فإنه لم يدغم ، وقرأ أبو عمرو ، وابن كثير (لَتَخِذْتَ) بكسر الخاء ، وكان أبو عمرو يدغم الذال ، وابن كثير يظهرها . انظر : السبعة ٣٩٦ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٦٣ ، والتبصرة ٢٥٠ ، والعنوان في القراءات ٢٤ ، والنشر ٢/ ٣١٤ .

(٤) تهذيب اللغة (أخذ) ١/ ١٣٠ ، ولسان العرب (أخذ) ١/ ٣٧ .

(٥) تهذيب اللغة (أخذ) ١/ ١٣٠ ، ولسان العرب (أخذ) ١/ ٣٧ ، وتاج العروس (أخذ) ٥/ ٣٤٥ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٦ .

وحكى[١] النضر : «اسْتَخَذْتُ عليهم يداً ؛ أي اتَّخَذْتُ»[٢] . ومثل هذا حكى سيبويه : «استخذ فلان أرضاً»[٣] .

قال أبو علي الفارسي : «وتأويله على أمرين ؛ أحدهما : أنه اتخذ ، فأبدل السين من التاء الأولى . والآخر : أنه استفعل من (تخذ) فحذف التاء التي هي فاء من (تخذت)[٤] . وكلهم أنشدوا[٥] :

وقدْ تَخِذَتْ رِجلي إلى جنبِ غَرْزِها نسيفاً كأُفْحوصِ القطاةِ المطرَّقِ

فحصل من هذا أن تَخِذ لغة بمعنى اتخذ ، وأصله : اتخذ ، على ما قال الفرَّاء ، كأنهم لَمَّا رأوا التاء في (اتخذ) ظنوها أصلية ، فقالوا في الثلاثي : تخذ ، كما قالوا : اتقى من (يتقي)[٦] .

قال أبو إسحاق : «وأصل تَخِذْتُ : أَخَذْتُ»[٧] . وأنكر عليه أبو علي ، وقال : «تَخِذْتُ فعلت وأَخَذْتُ فعلت ، وإبدال الحرف من الكلمة ليس يوجب تغيير

---

(١) في (ص) : (حلي) ، وهو تصحيف .

(٢) تاج العروس (أخذ) ٥/ ٣٤٥ ، ولسان العرب (أخذ) ١/ ٣٧ .

(٣) الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٨٣ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٦٣ .

(٥) البيت للممزق العبدي ، واسمه شأس بن نهار .
غرزها : الغرز للناقة مثل الحزام للفرس ، والنسيف : أثر ركض الرجل بجنبي البعير . والأفحوص : المبيض . والمطرق : وصف للقطاة إذا حان خروج بيضها . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٦٣ ، والخصائص ٢/ ٢٨٧ ، والأصمعيات ٦٥ ، والحيوان ٢/ ٢٩٨ ، ومجالس العلماء للزجَّاجي ٣٣٣ ، والإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٩٣ ، وتهذيب اللغة (نسف) ٤/ ٣٥٦٢ ، ولسان العرب (فحص) ٦/ ٣٣٥٦ .

(٦) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٩٨ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٧ .

بنائهـــا عما كان عليه قبل البدل ، لكن ينبغي أن يحافـــظ على البناء الأول ، ليكون أدل على أنه قد أبدل منه شيء ، ولا يظن أنه بناء آخر وصياغة أخرى»[١] .

وقال ابن الأنباري : «العرب تجعل تَخَذَ وتَخِذَ مســـتغنياً عما ســـقط منه ، قائماً بنفسه ، جارياً مجرى طعم أطعم ، وعلمت أعلم ، وبنوا يقنت على أيقنت ، واتقى على يتقي ، فلم يغيروا شيئاً من ماضيه ولا مستقبله ليجرى مجرى ما الساقط مظهر معه ، وهو بالأفعال ، وهذا لافتنانهم وإسباغ مبانيهم في لغاتهم»[٢] .

وقال أبو العبـــاس : «الاختيار لاتخذت ؛ لأنه هو أصـــل الحرف يعرى من الحذف واللبس ، قال : والقراءة الأخرى من لغة معروفة»[٣] .

٧٨. قوله تعـــالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ معناه : هذا الذي عليه فراق بيني وبينك ، هذا الكلام ، والإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا[٤] . وذلك أن موســـى قد كان قال له : ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴾ الآية . وقيل معناه : «هذا وقت فراق بيني وبينك»[٥] .

وقـــال الزجَّاج : «المعنـــى هذا فراق بيننـــا ؛ أي هذا فـــراق اتصالنا ، وكرر «بـــين» تأكيداً ، ومثـــل هذا من الـــكلام : أخزى الله الكاذب منـــي ومنك»[٦] . قـــال ابن الأنباري : «ويجوز أن يكون «بين» هاهنا ظرفـــاً وموضعاً»[٧] . فلمَّا قال

(١) الإغفال في ما أغفله الزجَّاج من المعاني ٩٩٢ .
(٢) ذكر نحوه بلا نسبة سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٢ .
(٣) ذكر نحوه تهذيب اللغة (أخذ) ١/ ١٣٠ ، ولسان العرب (أخذ) ١/ ٣٧ .
(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٩٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣١ ، والكشاف ٢/ ٣٩٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٧ .
(٥) معالم التنزيل ٥/ ١٩٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣١ .
(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٤ .
(٧) ذكر نحوه التفسير الكبير ٢١/ ١٥٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٢ ، وروح المعاني ١٦/ ٨ .

الخضر هذا أخذ موسى بطرف ثوبه فقال : حدثني . فقال الخضر : ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ الآية[١] .

٧٩. ثم فسر له فقال : ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ . هذه الآية دلالة على أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين ؛ لأن الله - تعالى - أخبر أنهم كانوا مساكين مع أنهم كانوا يملكون سفينة وهي تساوى جملة من الدنانير[٢] ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية [التوبة :٦٠] ، ويجوز أن تكون المسكنة هاهنا لم يعن بها الفقر وقلة ذات اليد ، لكن أريد بها عدم الناظر وانقطاع الحيلة ، كما يقال للذي يظلمه عدوه : مسكين فلان . يراد بالمسكين المستضعف المهتضم ، وإن كان كثير المال واسع الملك .

ومن هذا الباب ما روي في الحديث : «مسكين من لا زوجة له»[٣] . يعني في العجز عن الصبر في بعض الأحوال وضعف الحيلة ، وإن كان له مال كثير[٤] .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٩٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٨ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٩٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٧٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٢ .

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب النكاح ، باب الحث على النكاح ٤/ ٢٥٢ ، وقال : «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات إلَّا أن أبا نجيح لا صحبة له» ، وأورده أيضاً ابن الأثير في جامع الأصول في كتاب النكاح ، باب في الحث على النكاح والترغيب فيه ١١/ ٤٢٩ ، والترغيب والترهيب للمنذري ٣/ ٦٧ ، وقال : «ذكره رزين ولم أره في شيء من أصوله» ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٣٣٢ ، ومنتخب الكنز بحاشية مسند الإمام أحمد ٦/ ٣٩٠ .

(٤) المحرر الوجيز ٩/ ٣٧٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٤ ، وروح المعاني ١٦/ ٩ . قال ابن عطية في تفسيره ٩/ ٣٧٧ : «وتحرير هذا عندي أنهما لفظان يدلان على ضعف الحال جداً ، ومع المسكنة انكشاف وذل وسؤال ، ولذلك جعلهما الله صنفين في قسم الصدقات» .

وقوله تعالى : ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ .قال مجاهد : «أخرقها»[١] . وعَابَ في اللغة يكون على معانٍ ثلاثة ؛ يقال : عَابَ فلان فلاناً يعيبه عَيباً ، ورجل عَيَّاب ، وعاب الحائط ، والشيء إذا صار ذا عيب[٢][٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ .أكثر أهل العلم من المفسرين وأصحاب المعاني قالوا : «﴿وَرَآءَهُمْ﴾ هاهنا معناها أمامهم»[٤] . وكذا كان ابن عباس يقرأ : «وكان أمامهم ملك»[٥] . ووراء بمعنى : أمام ، ورد كثيراً في التنزيل والشعر ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم :١٧] ، ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون :١٠٠] ، وقول لبيد[٦] :

أليسَ ورائي إنْ تراختْ منيتي

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٠ .

(٢) في (س) قال : «وعبته أنا» ، وقال أبو الهيثم : «ومنه قوله تعالى : ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ؛ أي أجعلها ذات عيب» .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (عاب) ٣/ ٢٢٦٣ ، ومقاييس اللغة (عيب) ٤/ ١٨٩ ، والصحاح (عيب) ١/ ١٩٠ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٢ ، والكشاف ٢/ ٣٩٩ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٤ .

(٦) هذا صدر بيت للبيد بن ربيعة ، وعجزه :

لزومُ العصا تُحنى عليها الأصابعُ

انظر : ديوانه ٨٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٤ ، والدر المصون ٧/ ٥٣٧ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٥ ، وتهذيب اللغة (ورى) ٤/ ٣٨٧٨ ، ولسان العرب (ورى) ٨/ ٤٨٢٣ .

وهذا قول أبي حاتم ، وأبي عبيد ، وابن السكيت ، وأبي عبيدة ، والفرَّاء ، والزجَّاج[١] ، وذكرنا هذا في سورة إبراهيم[٢] .

وأنشد أبو عبيدة لسوار بن المضرب السعدي[٣] :

أَيرجو بنو مروانَ سمعي وطاعتي وقومي تميمٌ والفَلاةُ ورائيا

أي أمامي[٤] . قال : ووراء الرجل خلفه ، ووراءه قدامه ، وأنشد أيضاً[٥] :

أليسَ ورائي أنْ أدبَّ على العصا فيأمَن أعدائي ويسأمُني أهلي

ولا خلاف بين أهل اللغة أن وراء يجوز أن تكون بمعنى قدام ، واختلفوا في معنى ذلك ، فقال الفرَّاء : «لا يجوز أن يقال لرجل بين يديك : هو وراءك ، إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والليالي والدهر ، تقول : وراءك برد شديد ، وبين يديك برد شديد ، جاز الوجهان ؛ لأن البرد إذا لحقك صار من ورائك ، وكأنك إذا بلغته كان بين يديك»[٦] .

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٤١٢ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٧ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٨٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٤ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم :١٧] .

(٣) البيت لسوار بن المضرب السعدي . انظر : مجاز القرآن ١/ ٤١٢ ، وجامع البيان ١٦/ ١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٢ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٤ ، والدر المصون ٧/ ٥٣٧ ، والكامل ٢٨٩ ، وجمهرة اللغة ١/ ٢٣٦ ، ولسان العرب (ورى) ٨/ ٤٨٢٣ .

(٤) مجاز القرآن ١/ ٤١٢ .

(٥) البيت لعروة بن الورد . انظر : ديوانه ١١٤ ، والأضداد لابن الأنباري ٦٩ص ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٤ ، والدر المصون ٧/ ٥٣٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٩ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٧ .

وقال غيره : «يجوز استعمال وراء بمعنى أمام على الاتساع ؛ لأنها جهة مقابلة لجهة ، فكأن كل واحد من الجهتين وراء الآخر ، إذا لم يرد معنى المواجهة ، ويجوز ذلك في الأجسام التي لا وجه لها مثل : حجرين متقابلين كل واحد منها وراء الآخر»[(١)] .

وأكثر أهل اللغة على أن وراء من الأضداد .

قال أبو علي : «وقد حكى متقدمو أهل اللغة وقوع الاسم على الشيء وعلى ضده ، وصنفوا فيه الكتب ؛ كقطرب ، والتوَّزي[(٢)] ، ويعقوب وغيرهم ، وربما أنكر ذلك بتعسف وتأويلات غير سهلة ، وليس ينكر أن اللفظ الواحد يقع على الشيء وعلى خلافه ، فلذلك لا ينبغي أن ينكر وقوعه على الشيء وضده ؛ لأن الضد ضرب من الخلاف ، فإن زعموا أن ذلك يلبس [فهو في الخلاف أيضاً يلبس]»[(٣)(٤)] .

(١) البحر المحيط ٦/ ١٥٤ ، ونسبه إلى أبي علي ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٦ ، وروح المعاني ١٦/ ١٠ .

(٢) عبدالله بن ثابت بن يعقوب بن قيس بن إبراهيم ، أبو محمد العبقسي النحوي التوزي نسبةً إلى تـوَّز مدينة في فارس عند بحر الهند ، سكن بغداد ، وروى عن أبيه عن هذيل بن حبيب تفسير مقاتل بن سليمان ، وروى عن عمر بن شبَّة النميري ، وروى عنه أبو عمر بن السماك ، وُلد سنة ٢٢٣هـ ، وتوفي ـرحمه اللهـ سنة ٣٣٠هـ ، ودُفن بالرملية . انظر : إنباه الرواة ٢/ ١١٢ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ٢/ ٢٦ ، وطبقات القرَّاء ١/ ٤١١ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٩٩ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ص) .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٧ .

وروى الأزهري بإسناده عن ابن السكيت قال : «وراء ، وأمام ، وقدام يؤنَّثن ويُذَكَّرن ، ويصغر أمام فيقال : أُمَيِّم ذلك وأُمَيِّمة ، وقُدَيْدِيم ذلك وقديديمه ، وهو وريىء ذلك[١] الحائط ، ووريئة الحائط»[٢] .

قال أبو علي : «اللام من هذه الكلمة همزة ، والقول في تحقيرها : وُرَئِّيةٌ مثل : وديعة ، حكى ذلك أبو عثمان وغيره ، ولو كان من باب الوري والتواري لكان تحقيره : وريَّةً ، قال : ومن نادر ما جاء في هذه الكلمة دخول الهاء في تحقيرها مع أنها على أربعة أحرف ، وكذلك دخلت في قُدَيْديمة تحقير قُدَّام ، وأنشد[٣] :

قُدَيْديمةُ التجريبِ والحِلمِ إنني أرى غَفَلاتِ العيشِ قبلَ التجاربِ

وما كان على أربعة أحرف لا تدخله هاء التأنيث[٤] ، كما تدخل عامة ما كان على ثلاثة أحرف ، وذلك أن الحرف الأصلي قام مقام الزائد ، كما قام مقامه في قولهم : لم يَغْزُ ، ولم يَرْمِ ، ولم يَخْشَ ، ألا ترى أن هذه اللامات حذفت كما تحذف الحركات للجزم ، فأمَّا دخولها على قُدَيْديمةٍ ، ووُرَيِّئةٍ فمن الأشياء التي شذت فترد إلى الأصل المرفوض نحو : استحوذ ، والقصوى ، والقود»[٥] . وهذا الذي ذكره أبو علي خلاف ما ذكره ابن السكيت ؛ لأنه لم يجعل الهمز أصلاً[٦] .

---

(١) قوله : (ذلك) : ساقط من (ص) .

(٢) تهذيب اللغة (ورى) ٤/ ٣٨٧٨ .

(٣) البيت للقطامي . انظر : ديوانه ٤٤ ، وخزانة الأدب ٧/ ٨٦ ، والمقتضب ٢/ ٢٧٣ ، وشرح المفصل ٥/ ١٢٨ ، واللمع في العربية ٣٠٣ ، ولسان العرب (قدم) ٦/ ٣٥٥٢ .

(٤) في نسخة (ص) : (في التحقير) .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨٨ .

(٦) تهذيب اللغة (ورى) ٤/ ٣٨٧٨ .

قال أبو علي : «ووراء معرفة لا يصرف للتأنيث والتعريف»[١] . والآية تدل على أن معنى وراء أمام ؛ لأنه لو كان بمعنى خلف كانوا قد جاوزوه فلا يأخذ سفينتهم . واختار الزجَّاج أن يكون وراء بمعنى : خلفهم قال : هذا أجود الوجهين ، وعلى هذا قال : يجوز أن يكون : كان رجوعهم في طريقهم عليه ، ولم يكونوا عالمين بخبره ، فأعلم الله الخضر خبره حتى عاب السفينة لتسلم من الغصب»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ .قال أهل المعاني : «أراد كل سفينة صالحة»[٣] . وكذا كان يقرأ ابن عباس ، وأبي ، وحذفت في قراءة الناس للعلم بها[٤] .

وروي في حديث أُبي عن النبي ﷺ في هذه القصة : «أن الخضر قال[٥] : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ، فإذا مرت عليه فرآها منخرقة تركها ، ورقعها أهلها بقطعة خشب فانتفعوا بها»[٦] .

٨٠. قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ الآية . روى ابن عباس عن أُبي بن كعب قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : في قوله : ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ قال : كان(طبع يوم طبع)كافراً ، وكان قد

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٩٠ .
(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٥ .
(٣) بحر العلوم ٢/ ٣٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٩ ، وروح المعاني ١٦/ ١٠ ، وفتح القدير ٣/ ٤٣٧ .
(٤) جامع البيان ١٦/ ٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٠ .
(٥) قوله : (قال) : مكرر في نسخة (ص) .
(٦) سبق تخريج الحديث وعزوه في بداية القصة .

ألقي عليه محبة من أبويه»[١] . «لأرهقهما طُغْيَاناً وَكُفْراً» وكذا كان يقرأ ابن عباس ، وأُبي : «وأمَّا الغلام كان كافراً ، وكان أبواه مؤمنين»[٢] .

وقوله تعالى :﴿فَخَشِينَآ﴾ ؛ قال الفرَّاء «فعلمنا»[٣] . وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[٤] . وهي قراءة أُبي : (فخاف ربك)[٥] على معنى : علم ربك ، وذكرنا الخوف بمعنى : العلم عند قوله : ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾الآية [البقرة :١٨٢] . وقال قطرب والأخفش : «معناه فكرهنا»[٦] .

قال أبو إسحاق : «الخشية من الله معناها الكراهة ، ومعناها من الآدميين الخوف»[٧] . قال ابن الأنباري : «الخشية صلحت خبراً عن الله بمعنى الكراهية ، فإذا وصف المخلوق بها أفادت هلعاً وفزعاً ، وإذا أخبر بها عن الخالق دلت على تأويل الكراهة ، كما كان الاستهزاء من المخلوق سفهاً ، ومن الخالق استدراجاً»[٨] .

٨١. ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ .

وقال قوم : «هذا من كلام الخضر ، ولا يجوز أن يكون فخشينا عن الله بل الخضر -عليه السلام- خشي أن يرهق الغلام أبويه طغياناً وكفراً ؛ فلذلك قتله ،

---

(١) سبق تخريج الحديث وعزوه في بداية القصة .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٣ ذكره عن قتادة عن أُبي ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٨١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٠ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٧ .

(٤) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ١٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٩ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٦ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٧ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٥ .

(٦) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٢٠ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٥ .

(٨) ذكر نحوه مختصراً المحرر الوجيز ٩/ ٣٨١ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٥ .

قالوا : والدليل على أن هذا من كلام الخضر قوله تعالى : ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ ولو كان من كلام الله لقال : فأردنا أن نبدلهما خيراً منه ، ولم يعد ذكر الرب»[١] . والظاهر يعضد هذا ، غير أن أبا إسحاق قال : «هذا جائز أن يكون عن الله بمعنى فكرهنا ، وقوله : ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ بمعنى فأراد الله ، ولفظ الإخبار عن الله كذا أكثر من أن يحصى»[٢] ، هذا كلامه . وقول مَن قال : إنه من كلام الخضر ظاهر جلي .

وقوله تعالى : ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ ؛ أي يغشيهما ويكلفهما . وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [الكهف :٧٣] .

قال المفسرون : «خشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه ويدينا بدينه»[٣] . وقال ابن عباس في رواية عطاء : «كان الغلام يؤذي الجيران ، ويفعل القبيح ، وكان أبواه يحلفان عنه بالكذب طغياناً وكفراً»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ وقُرئ : بالتخفيف[٥] . وبدل وأبدل متقاربان في المعنى ، كما أن نزل وأنزل كذلك . وفرق قوم بينهما ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ الآية [النساء :٥٦] .

---

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٣٨١ ، والكشاف ٢/ ٤٠٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٦ .

(٢) معاني القرآن للزجّاج ٣/ ٣٠٥ .

(٣) معالم التنزيل ١٥/ ١٩٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٠ .

(٤) ذكر نحوه المارودي في تفسيره ٣/ ٣٣٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٧٩ ، والألوسي في روح المعاني ١٦/ ١١ .

(٥) قرأ نافع ، وأبو عمرو البصري (أن يبدِّلهما) بالتشديد ، وقرأ ابن عامر ، وابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتخفيف . انظر : السبعة ٣٩٦ ، والحجة ٥/ ١٦٤ ، والتبصرة ٢٥١ ، والنشر ٢/ ٣١٤ .

قولــه : ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ .قال ابن عباس في رواية ســعيد بن جبير : «خيراً منــه ديناً»[١] . وهو قول قتادة[٢] . ومعنى هذا ما قالــه الكلبي ، والفرَّاء : «خيراً منــه صلاحاً»[٣] . والزكاة الصلاح ، والزاكي الصالــح ، ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿نَفْسًا زَكِيَّةًۢ﴾ [الكهــف :٧٤] ، وفــسر الصلاح بالديــن ؛ لأن الصلاح يكون من الدين . وكذلك تفســير ابن جريج الزكاة في هذه الآية : بالإســلام[٤] . فيكون كتفسير ابن عباس بالدين .

وقولــه تعــالى : ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ والرُّحْــمُ ، والرُّحُمُ ، والرَّحْــمُ : العطف والرحمة[٥] . قاله أبو عبيدة ، والزجَّاج[٦] . وأنشد أبو عبيدة للعجاج[٧] :

ولَمْ تُعَوَّجْ رُحْمُ مَنْ تَعَوَّجا

وأنشد غيره لرؤبة[٨] :

يــا مُــنْزِلَ الــرُّحْــمِ عــلى إدريسَ وَمُنْــزِلَ اللَّعْــنِ عــلى إبليــسَ

---

(١) زاد المسير ٥/ ١٨٠ ، والقرطبي ١١/ ٣٧ من دون نسبة ، وروح المعاني ١٦/ ١١ .

(٢) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٧ من دون نسبة .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٧ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب .

(٤) جامع البيــان ١٦/ ٤ ، ومعــالم التنزيل ٥/ ١٩٥ ، والمحــرر الوجيــز ٩/ ١٩٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣١ .

(٥) تفسير غريب القرآن ١/ ٢٧٠ ، والعمدة في غريب القرآن ١٩٢ ، ولسان العرب (رحم) ٣/ ١٦١٣ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٥ ، ومجاز القرآن ١/ ٤١٢ .

(٧) البيــت للعجاج . انظر : ديوانه ٢/ ٦٦ ، ومجاز القــرآن لأبي عبيدة ١/ ٤١٣ ، وجامع البيان ١٦/ ٤ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٦٦ ، ولسان العرب (رحم) ٣/ ١٦١٣ .

(٨) البيت لرؤبــة . انظر : ديوانه ١٧٥ ، والمحــرر الوجيز ٩/ ١٩٣ ، والبحر المحيــط ٦/ ١٥٥ ، والدر المصون ٧/ ٥٣٩ ، والحجة للقراء الســبعة ٥/ ١٦٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٠ ، والشــطر الأول منه في لسان العرب (رحم) ٣/ ١٦١٣ .

ويستعمل الرحم بمعنى القرابة لا بمعنى الشفقة . ويقال : فلان أشفق منك رحماً ، وفلان أمُّس رحماً من فلان ؛ أي قرابة . وأمَّا الذي في الآية فقال قتادة : «أبرُّ بوالديه»[١] . وهو قول ابن عباس قال : «أوصل للرحم ، وأبر بوالديه»[٢] . وروى عنه سعيد بن جبير : «وأقرب مودة»[٣] . وهذا قول أكثر المفسرين جعلوا البدل : أبر بالوالدين .

ومنهم مَن جعل الوالدين أبر بالبدل ، وهو قول ابن جريج ، والفرَّاء . قال ابن جريج : «أرحم به منهما بالذي قتل الخضر»[٤] . يعني رحمة الوالدين عليه أكثر .

وقال الفرَّاء : «أقرب أن يرحماه»[٥] . فعلى هذا ، الرحم من جهة الوالدين ، وعلى القول الأول ، الرحم من جهة الولد ، وكلهم على أن معنى الرحم هاهنا : الرحمة والشفقة والعطف ، غير أن الزجَّاج قال في هذه الآية : «أقرب عطفاً ، وأمسُّ بالقرابة»[٦] . وَهِمَ ؛ لأن الأولاد لصلب الوالدين سواء في القرابة ، ولا يكون بعضهم أمس بالقرابة من بعض .

قال النبي ﷺ في حديث أُبي بن كعب : «فوقع أبوه على أمه فنقلت : فولدت خيراً منه زكاةً وأقرب رحماً»[٧] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٠ .

(٢) زاد المسير ٥/ ١٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٧ .

(٣) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٩٠ من دون نسبة .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٤ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٧ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٥ .

(٧) سبق تخريج الحديث وعزوه في بداية القصة .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «ولدت جارية فولدت نبيّاً»[١] . وروى عكرمة عنه في قوله : ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قال : «ولداً كان في بطن أمه»[٢] . وقال مجاهد : «كان ذلك الولد جارية»[٣] . وهو قول جميع المفسرين إلَّا ابن جريج ، فإنه قال : «أبدلهما الله غلاماً مسلماً ، وكان المقتول كافراً»[٤] . وقال ابن عباس في رواية عطاء : «أبدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبيّاً»[٥] . وهذا قول الباقر[٦] .

والجمع بين هذا وبين قوله في رواية سعيد : «ولدت نبيّاً» ، أن السبعين كانوا من نسلها ولم تلد لبطنها إلَّا نبيّاً . قال مطرف[٧] في هذه الآية : «أيم الله لقد كان أبوه فرحاً بمولده ، وحزيناً بمقتله ، ولو عاش كان في بقائه هلكتهما ، فقضاء الله

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٧ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٤ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٢٧ ، والكشاف ٢/ ٤٩٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٠ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٦١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٥ .

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٣٥ من دون نسبة ، وذكر نحوه الثعلبي عن الكلبي ٣/ ٣٩١ ب ، وبحر العلوم ٢/ ٣٠٩ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٨١ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ١٩٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٨٣ ، وزاد المسير ٥/ ١٨١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٥ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ٣٩١ ب ، وروح المعاني ١٦/ ١٢ .

(٧) مطرف بن عبدالله بن الشخير الحرشي العامري ، أبو عبدالله البصري ، من كبار التابعين ، وُلد في حياة النبي ﷺ ، وكان من عباد أهل السمرة وزُهَّادهم ، روى عن أبيه ، وعثمان ، وعلي ، وعمار بن يسار وغيرهم ، وروى عنه عبدالله بن هاني ، والحسن البصري ، وسعيد الجريري ، وكان من أهل البصرة ، وثقه العلماء ، توفي ـ رحمه الله ـ في أول ولاية الحجاج ، وقيل سنة ٩٥هـ . انظر : الجرح والتعديل ٨/ ٣١٢ ، والكاشف ٣/ ١٥٠ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٦٤ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٥٧ .
جامع البيان ١٦/ ٤ ذكره عن قتادة ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٧٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٨ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٠ .

خير من قضائك لنفسك ، وما يقضيه الله لك بما تكرهه خير من قضائك لنفسك بما تحب يا بني ، فاستخر الله وارض»[١] .

٨٢. قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعني القرية التي ذكرها في قوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف :٧٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ . روى أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : «كان ذهباً وفضةً»[٢] . وهذا قول عكرمة وقتادة[٣] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «كان لوحاً من ذهب فيه مكتوب : عجباً لَمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجباً لَمن أيقن بالنار ثم يضحك ، عجباً للمؤمن كيف يفرح ، عجباً لَمن يوقن بالرزق كيف يتعب ، عجباً لَمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجباً لَمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، أنا الله لا إله إلَّا أنا محمد عبدي ورسولي . وفي الشق الآخر : أنا الله لا إله إلَّا أنا وحدي لا شريك لي ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لَمن خلقته للخير وأجريته على يديه ، والويل لَمن خلقته للشر وأجريته على يديه»[٤] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٤ ذكره عن قتادة ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٧٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٨ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير (سورة الكهف) ٥/ ٣١٣ ، وقال : «هذا حديث غريب» ، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير ٢/ ٣٦٩ وقال : «حديث صحيح» . وعلَّق عليه الذهبي بقوله : «قلت : بل يزيد بن يوسف متروك » . وقال الحافظ بن حجر في الكافي الشاف : ص ١٠٤ ، حديث رقم ٣٢٤ : وفيه يزيد بن يوسف الصنعاني وهو ضعيف ، وأورده البغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٩٥ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٨٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٨١ . قال الطبري في تفسيره ١٦/ ٦ : «وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قاله عكرمة ؛ لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال ، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم الكنز فإن التأويل موصوف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ما لم يأتِ دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك لعلل» . انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٠ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٧ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٨١ ، =

وهذا قول الحسن[١] ، وأكثر أهل التفسير[٢] .

وقال في رواية سعيد بن جبير ، وكريب : «كان صحفاً وعلماً»[٣] . وهو قول مجاهد : «كان صحفاً للغلامين فيها علم»[٤] .

قال أبو إسحاق : «المعروف في اللغة أن الكنز إذا أفرد فمعناه : المال المدفون والمدَّخر ، فإذا لم يكن المال قيل : عنده كنز علم ، وله كنز فهم ، والكنز هاهنا بالمال أشبه . قال : وجائز أن يكون الكنز كان مالاً مكتوب فيه عِلم على ما روي ، فهو مال وعلم عظيم من توحيد الله وإعلام أن محمداً ﷺ مبعوث»[٥] . وعلى ما ذكره أبو إسحاق ، قول مَن قال : إنه كان صحفاً فيها علم بعيد .

قال ابن الأنباري : «مَن قال : إن الكنز كان علماً سمى العلم كنزاً ؛ لأنه يتعجل من نفعه أفضل مما ينال من ناحية الأموال»[٦] . فمعنى قوله : ﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾ مثل الكنز ، كما يقال : هو الأسد شدةً ، والقمر حسناً معناه : مثل الأسد ،

= وأخرجه البيهقي في الشعب ١/ ٦٤ ، والبزار ، كما في كشف الأستار ٣/ ٥٧ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٥٣ : «رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبدالله اليحصبي ولم أعرفهما» . قال الحافظ بن حجر في الكافي الشاف ١٠٥ : «رواه الواحدي من رواية محمد بن مروان السُّدِّي الصغير عن أبان عن أنس مرفوعاً ، وأبان والسُّدِّي الصغير متروكان» .

(١) جامع البيان ١٦/ ٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٨١ منسوب إلى ابن عباس ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١١ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٩٦ ، والقرطبي ١١/ ٣٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٢ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٦٦ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٦٩ ، وقال : «صحيح الإسناد» ، ووافقه الذهبي .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٨١ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٧ .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٨١ ، وذكر بلا نسبة في النكت والعيون ٣/ ٣٣٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٨ .

ومثـــل القمر . وعلى قول مَن قال : إنه مال ، لم يكـــن الكنز حراماً على أهل ذلك الزمان .

قال قتادة : «كانت الكنوز حلالاً لمَن كان قبلنا ، وكانت الغنائم محرمة عليهم ، فأحل الله لنا الغنائم ، وحرم علينا الكنوز»[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ .قال ســـعيد بن جبير ، عن ابن عباس : «حفظا بصلاح أبيهما ، ولم يذكر منهما صلاحاً»[٢] .

قال جعفر بن محمد : «كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء»[٣][٤] .

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ يا موســـى ، ﴿أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ ؛ قال ابن عباس : «أن يكبرا ويعقلا»[٥] ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ .ومضى الكلام في بلوغ الغلامين الأشـــد . ولمَّا أراد الله – تعـــالى – أن يبقي ذلك إلى بلوغ الغلامين حتى يســـتخرجاه أمر الخضر حتى أقام الجدار ؛ لأن لا ينهدم .

وقوله تعـــالى : ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ منصوب على ضربين ؛ أحدهما : على معنى أراد ذلـــك للرحمة ، كما تقول : أنقذتك من الهلكة رحمـــة لك ، والثاني : أن يكون

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٦ ، والكشاف ٢/ ٤٠٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣١ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٦ ، وبحر العلوم ٣/ ٣١٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٢ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٨٤ ، والكشاف ٢/ ٤٠٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٧ .

(٤) قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفســـيره ٣/ ١١٢ عند قولـــه : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ : «وفيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته ، وتشـــمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ، ورفع درجتهم إلى أعلى الدرجات في الجنة لتقر عينه بهم ، كما جاء في القرآن ووردت به السُّنة» .

(٥) ذكرته كتب التفســـير من دون نســـبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣١٠ ، ومعـــالم التنزيل ٥/ ١٩٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٢ .

منصوباً على المصدر ؛ لأن ما تقدم من الكلام معناه : رحمهما الله بذلك . وهذا معنى قول أبي إسحاق[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ .قال ابن عباس : «يريد انكشف لي من الله علم فعملت به ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ﴾ .قال : يريد هذا تفسير ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾»[٢] . وتسطع بمعنى تستطيع ، ويذكر الكلام فيه عند قوله : ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ إن شاء الله .

٨٣. قوله تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ الآية . قد ذكرنا أن اليهود سألت النبي ﷺ عن الروح ، وقصة أصحاب الكهف ، وعن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها ، فكان من جوابه في الروح وقصة أصحاب الكهف ما تقدم[٣] .

واختلفوا في ذي القرنين ، فقال مجاهد : «كان نبيّاً»[٤] . وهو قول عبدالله بن عمرو[٥] . وقال علي رضي الله عنه : «كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله ، وناصح الله فنصحه الله»[٦] .

---

(١) معاني القرآن للزجّاج ٣/ ٣٠٧ .

(٢) مجمع البيان ٦/ ٧٥٤ ، وذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٦ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٢٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٢ ، والكشاف ٢/ ٤٩٦ .

(٣) سبق توثيقه عند قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف :٩] .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٩٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٧ ، وفتح القدير ٣/ ٤٣٨ ، ذكروه من دون نسبة .

(٥) بحر العلوم ٢/ ٣١٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٤ ، وفتح القدير ٣/ ٤٤٣ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٧ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٧ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٥ .

وروى عقبة بن عامـــر[١] أن النبي ﷺ قال : «إن أول أمره أنه كان غلاماً من الروم أعطي ملكاً»[٢] . فهو ملك على هذا القول .

وروى خالـــد بن معدان[٣] : «أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ســـمع رجلاً يقول : يا ذا القرنين . فقال : اللهم غفراً ، أما رضيتم أن تتســـموا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة»[٤] . والله أعلم أي ذلك كان .

---

(١) عقبة بن عامر بن عيســـى بـــن عمرو بن عدي بن عمرو الجهني ، أبو حمـــاد ، ويقال أبو عمرو ، روى عـــن عمر بن الخطاب ، وروى عنه أبو أمامة ، وابن عبـــاس ، وقيس بن أبي حازم وغيرهم ، ولي إمرة مصر من معاوية رضي الله عنه سنة ٥٨هـ ، وكان من القرَّاء ، عالماً بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان ، يجيد الشـــعر والكتابة ، شـــهد أُحداً ، وتوفي في آخر خلافة معاوية رضي الله عنهما . انظر : أسد الغابة ٣/ ٥٥٠ ، والإصابة ٤/ ٢٥٠ ، والجرح والتعديل ٦/ ٣١٣ ، وتهذيب التهذيب ٧/ ٢١٦ .

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٦/ ٨ بسنده عن عقبة بن عامر ، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٩/ ٣٨٨ ، قال : «وهو حديث واهي السند» ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٣/ ١١٢ ، قال : «وفيه طول ونـــكاره ورفعه لا يصح وأكثـــر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل ، والعجـــب أن أبا زرعة الرازي مع جلالة قدره ســـاقه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه ، وفيه من النكارة أنه من الروم ، وإنما الذي كان من الروم الإســـكندر الثاني وهو ابن قيليس المقـــدوني الذي تؤرخ به الروم ، وأمَّا الأول فقد ذكر الأزرقـــي وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل - عليه الســـلام - أول ما بناه وآمن به واتبعه» ، وأخرجه الســـيوطي في الدر المنثـــور ٤/ ٤٣٦ ، وعزاه لابـــن الحكم في فتح مـــصر ، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الدلائل عن عقبة بن عامر .

(٣) خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي ، أبو عبدالله ، الشـــامي الحمصي ، روى عن ثوبان وابن عمر وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ ، وروى عنه عدد من التابعين ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٠٤هـ . انظر : تاريخ الثقات ١٤٢ ، والكاشف ١/ ٢٠٨ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ١١٨ .

(٤) معالم التنزيل ٣/ ١٩٨ ، والكشاف ٢/ ٤٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٤٦ .

واختلفوا أيضاً في تسميته بذي القرنين ، فقال علي رضي الله عنه : «دعا قومه إلى الله فضربوا على قرنه[١] الأيمن فمات ، فأحياه الله ، ثم دعا قومه إلى الله فضربوا على قرنه الأيسر فمات ، فأحياه الله ، فسمي (ذو القرنين)[٢] .

قال أبو إسحاق : «ويجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون سمي ذا القرنين ؛ لأنه بلغ قطري الأرض ؛ مشرق الأرض ومغربها»[٣] . وهذا قول الزهري قال : «إنما سمي ذا القرنين ؛ لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها»[٤] .

وقال محمد بن إسحاق عن وهب : «إنما سمي [ذا القرنين ؛ لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس»[٥] . ويقال : «إنما سمي][٦] ؛ لأنه كانت له ضفيرتان»[٧] .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ ؛ أي خبراً يتضمن ذكره .

٨٤. قوله تعالى : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .قال علي رضي الله عنه : «سخر الله له السحاب فحمله عليها ، ومد له في الأسباب ، وبسط له النور ، وكان الليل والنهار[٨] عليه سواء»[٩] . وهذا معنى تمكينه في الأرض ،

---

(١) في (ص) و (س) : (قرية) ، وهو تصحيف .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٩٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٧ ، والدر المنثور ٤/ ٤٣٥ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٨ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٩٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٧ ، وتهذيب اللغة (قرن) ٣/ ٢٩٤٧ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٩ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٤٤٢ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٢ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ١٩٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٨٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٤ .

(٨) قوله : (والنهار) : ساقط من نسخة (س) .

(٩) معالم التنزيل ٥/ ١٩٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٣٠ .

وهو : أنه سهل عليه المسير فيها ، وذلل له طرقها ، وحزومها حتى تمكن منها أنى شاء[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ .قال علي ، عن أبي طلحة ، عن ابن عباس : «علماً»[٢] . وهو قول قتادة ، وابن زيد ، والضحاك ، وابن جريج قالوا : «علماً يتسبب به إلى ما يريد»[٣] .

وقال أبو إسحاق : «أي آتيناه من كل شيء يبلغ به في التمكن أقطار الأرض»[٤] . ﴿سَبَبًا﴾ ؛ أي علماً يوصله إلى حيث يريد . قال المُبرِّد : «وكل ما وصل شيئاً بشيء فهو سبب»[٥] . وهذا مما تقدم فيه القول ، وقال بعض المتأولين : «المعنى : وآتيناه من كل شيء بالخلق إليه ﴿سَبَبًا﴾ ؛ أي علماً ومعونةً»[٦] .

٨٥. وقوله تعالى : ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ .قال مجاهد : «طريقاً بين المشرق والمغرب»[٧] . وهو قول قتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، والكلبي وجميعهم[٨] . قال أبو عبيدة : «اتبع طريقاً وأثراً»[٩] . والمعنى على

---

(١) في (ص) : (أين شاء) .
(٢) جامع البيان ١٦/ ٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٤ .
(٣) جامع البيان ١٦/ ٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٤٥ .
(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٨ .
(٥) ذكره بلا نسبة الأزهري في تهذيب اللغة (سب) ٣/ ١٦٠٥ ، ولسان العرب (سبب) ٤/ ١٩٠٩ .
(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣١٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٢٩ ، والقرطبي ١١/ ٤٨ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٦٥ .
(٧) جامع البيان ١٦/ ١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٤٥ .
(٨) جامع البيان ١٦/ ١٠ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٥ .
(٩) مجاز القرآن ١/ ٤١٣ .

هذا : أنه اتبع طريقاً يؤديه إلى مغرب الشمس . وعلى هذا السبب الثاني غير الأول ؛ لأن معناه : الطريق ، والأول بمعنى : العلم .

وقال أبو إسحاق : «فأتبع سبباً من الأسباب التي أوتي»[١] . وذلك أنه أوتي من كل شيء سبباً فأتبع من تلك الأسباب التي أوتي سبباً في المسير إلى المغرب . وعلى هذا القول هما سواء . والقراءة الجيدة : (فاتَّبع) ، وقُرئ : فأتبع بقطع الألف[٢] . قال الأصمعي : «ومعناه : لحق ، يقال : أتبعْتُ القوم لحقتهم ، واتَّبع إنما هو أن يتتبع آثارهم وإن لم يلحقهم»[٣] . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف :١٧٥] .

٨٦. وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ؛ أي ذات حمأة وهي : الطين الأسود المنتن[٤] . قال ابن السكيت : «أحمأتُ الركيَّة ألقيت فيها الحمأة ، وحمأتُها إذا نزعت حَمْأتَها»[٥] . ونحو هذا روى أبو عبيد عن أبي زيد[٦] .

وقال الأصمعي في الأجناس : «على القلب من هذا»[٧] . قال الأزهري : «وليس ذلك بمحفوظ ، والصواب ما قاله ابن السكيت»[٨] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٨ .

(٢) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو البصري (فاتبع) بالوصل والتشديد ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿فَأَتْبَعَ﴾ بالقطع والتخفيف . انظر : السبعة ٣٩٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٦٦ ، والتبصرة ٢٥١ ، والنشر ٢/ ٣١٤ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٠ ، ولسان العرب (تبع) ١/ ٤١٦ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٤٩ ، وفتح القدير ٣/ ٤٤٤ .

(٥) تهذيب اللغة (حما) ١/ ٩٠٩ .

(٦) تهذيب اللغة (حما) ١/ ٩٠٩ ، ولسان العرب (حمم) ٢/ ١٠٠٦ .

(٧) تهذيب اللغة (حما) ١/ ٩٠٩ ، ولسان العرب (حمم) ٢/ ١٠٠٦ .

(٨) تهذيب اللغة (حما) ١/ ٩٠٩ .

ويقال : حمئـت البئر تحمأ حمأً إذا صارت ذات حمـأة فهي حمئة ، وهذه قراءة ابن عباس ، ومجاهد ، وفسراها : «حَمَأة سـوداء ، وطينة سوداء»[١] . ولمَّا اختلف ابن عباس ومعاوية في حَمِئة وحامية ، أرسـلا إلى أُبي بن كعب : «أين تجد الشمس تغرب ؟ فقال : في طينة سوداء . فوافق ابن عباس»[٢] .

وقرأ ابن الزبير ، وابن مسـعود : (حامِية) ، من غير همز[٣] . وهي فاعلة من حَمِيَـت تَحْمَى فهي حاميـة ؛ أي حارة ، ويدل على صحة هـذه القراءة ما روي : أن النبي ﷺ نظر إلى الشـمس حين غابت فقال : «في نـار الله الحامية ، في نار الله الحامية»[٤] . وقال ابن عباس في رواية الوالبي والحسن في قوله : (في عين حامية)

(١) جامع البيان ١٦/ ١١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٣ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١١ ، وتفسـير القـرآن للصنعاني ١/ ٤١١ ، و معالم التنزيـل ٥/ ١٩٩ ، و المحرر الوجيز ٩/ ٣٩٣ ، و الدر المنثور ٤/ ٤٤٥ .

(٣) قـرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصـم ﴿حَمِئَةٍ﴾ مهموزة بغير ألف ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسـائي (حامية) بألف من غير همز . انظر : السبعة ٣٩٨ ، والحجة للقراءة السبعة ٥/ ١٦٩ ، والعنوان في القراءات ١٢٤ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٧ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٠٧ . انظر : المطالب العالية ٣/ ٣٥٠ ، والكافي الشاف لابن حجر ١٠٤ ، والطبري في جامع البيان ١٦/ ١٢ ، وابن عطية في تفسـيره ٩/ ٣٩٣ ، وابن كثير في تفسـيره ٣/ ١١٣ ، وقـال : «رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون» ، وفي صحة رفع هذا الحديث نظر ، ولعله من كلام عبدالله بن عمرو من زاملتيه اللتين وجدهما يوم اليرموك ، والله أعلم ، وأورده السـيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٤٧ ، وزاد في نسبته إلى أبي يعلى ، وابن منيع ، وابن مردويه .

«عين حارة»[١] . وتترجح هذه القراءة ؛ لأنها تجمع المعنيين[٢] . وهو ما ذكره أبو إسحاق فقال : «وقد تكون حارة ذات حمأةٍ»[٣] .

وقال أبو علي : «يجـوز أن تكون حامية فاعِلةً من الحَمَأة ، فخفف الهمزة بأن قلبت ياء محضة ، على قياس قول أبي الحسن ، وعلى قول الخليل كانت بَين بَين»[٤] .

وقوله تعـالى : ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ ؛ أي عند العـين . ﴿قُلْنَا يَذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ . قال ابن الأنبـاري : «مَن قال : إن ذا القرنين كان نبيّاً ، فـإن الله قال له كما يقول للأنبياء إمَّا بتكلم ، أو بوحي ، ومَن قال : لم يكن نبيّاً قال : معنى ﴿قُلْنَا﴾ هاهنا : ألهمنا»[٥] . ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ ؛ قال ابن عباس : «يريد إمَّا أن [تقتل ﴿وَإِمَّآ أَن نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ؛ قال : وإمَّا أن تسبيهم»[٦] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٢ ، وتفسـير القرآن للصنعاني ١/ ٤١٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٤ .

(٢) قال الطبري ـرحمه اللهـ في تفسـيره ١٦/ ١٢ : «والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال :إنهما قراءتان مسـتفيضتان في قراءة الأمصار ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم غير مفسـد أحدهمـا صاحبه ، وذلك أنه جائز أن تكون الشـمس تغرب في عين حـارة ذات حمأة وطين ، فيكون القارئ : (في عين حامية) واصفها بصفتها التي هي لها وهي الحرارة ، ويكون القارئ :(في عين حمئة) واصفهـا بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأ وطين ، وقـد رُوِي بكلا صفتيها اللتين قلت : إنهما من صفتهاـ أخبار» . قال ابن كثير في تفسـيره ٣/ ١٠٥ : «ولا منافاة بين معنييها ؛ إذ قد تكون حارة لمجاورتها الشـمس عند غروبها وملاقاتها الشعاع بلا حائل ، وحمئة في ماء وطين أسود ، كما قال كعب الأحبار» .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٨ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٦٩ .

(٥) ذكرته كتب التفسير . انظر : معالم التنزيل ٥/ ١٩٩ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٩٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٢ .

(٦) ذكرت كتب تفسـير نحوه من دون نسـبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٩٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٢٩ ، وأنوار التنزيل ٣/ ٢٣٥ .

قال المفسرون : «يريد إمَّا أن][1] تقتلهم إن أبوا ما تدعوهم إليه ، وإمَّا أن تأسرهم فتعلمهم وتبصرهم الرشاد»[2] . وعلى هذا المراد بالتعذيب : القتل ، وباتخاذ الحسن فيهم أن لا يقتلهم ، بل يأسرهم فيسلموا عنده .

وقال الكلبي في قوله : ﴿وَإِمَّآ أَن نَّتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ : «يريد تعفو أو تنعم»[3] . وعلى هذا المراد باتخاذ الحسن فيهم : عفوهم وتركهم . والأول القول ؛ لأنه[4] لو أمر بتركهم والعفو عنهم لم يكن في الدعوة فائدة . قال أبو إسحاق : «أباح له الله - عز وجل - هذين الحكمين - يعني : القتل والأسر - كما أباح لمحمد الحكم بين أهل الكتاب أو الإعراض»[5] . يعني قوله : ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة :٤٢] .

قال ابن الأنباري : «موضع ﴿أَن﴾ نصب ؛ لأن المعنى : اختر التعذيب أو اتخذ الحسن عندهم ، فأفادت ﴿إِمَّآ﴾ التخيير ، قال : ويجوز أن يكون رفعاً بتأويل : إمَّا هو التعذيب ، وإمَّا هو الاتخاذ»[6] . قال قتادة : «فقضى فيهم بقضاء الله ، وكان عالماً بالسياسة»[7] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٤ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١١ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢٠٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٣٩ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٣٠ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٦٧ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ١١ ، تفسير القرآن للصنعاني ١/ ٤١١ ، معالم التنزيل ٥/ ١٩٩ ، المحرر الوجيز ٩/ ٣٩٣ ، و الدر المنثور ٤/ ٤٤٥ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٩ .

(٦) ذكر بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩١ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٠ ، والدر المصون ٧/ ٥٤٢ .

(٧) لم أقف عليه ، وذكره المؤلِّف في تفسيره الوسيط ٣/ ١٦٥ .

٨٧. فقال : ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أشرك»[١] ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ ؛ نقتله إذا لم يرجع عن الشرك . ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ بعد قتلي إياه ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ ؛ يعني في النار ، وعذاب الله إياه بالنار أنكر من عذاب القتل . قاله الزجَّاج[٢] .

٨٨. ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ . يكون هذا الجزاء من الله تعالى ، والحسنى هاهنا على معنيين ؛ أحدهما : الجنة ، وأضيف الجزاء إليها وهي الجزاء ، كما قال : ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[الواقعة : ٩٥] ، ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾[يوسف : ١٠٩ ، والنحل : ٣٠] ، و﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة :٥] ، وهذا قول الفرَّاء[٣] . والثاني : أن تكون الحسنى حسناته ، ويكون المعنى : له جزاء الخلال الحسنة التي آتاها وعملها . وهذا القول ذكره الفرَّاء أيضاً ، واختاره أبو علي وحرره[٤] . ويجوز أن يكون هذا الجزاء المذكور من ذي القرنين ، وهو قول ابن عباس ؛ كأنه قال : أتفضل عليه وأعطيه . وعلى هذا لا يكون معنى الحسنى : الجنة ؛ لأن الجزاء بها لا يجزيه إلَّا الله عز ذكره . ومضى الكلام في الحسنى عند قوله : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الآية [يونس :٢٦] .

---

(١) مجمع البيان ٦/ ٧٥٧ ، وذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٥/ ١٨٦ ، والكشاف ٢/ ٤٩٧ ، وأنوار التنزيل ٣/ ٢٣٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٤ ، وروح المعاني ١٦/ ٣٤ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٤٣ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٩ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٩ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٠ .

وقرأ أهل الكوفة : ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً﴾ نصباً منوناً[١] . قال الفرَّاء : «أي فله الحسنى جزاء ، نصبت ﴿جَزَآءً﴾ على التفسير»[٢] .

وقال الزجَّاج : «﴿جَزَآءً﴾ مصدر منصوب في موضع الحال ، المعنى : فله الحسنى مجزياً بها جزاء»[٣] . ونحو هذا قال أبو علي : «هو مصدر واقع موقع الحال ، المعنى : فله الحسنى مجزية»[٤] .

قال الأخفش : «وهذا لا يكاد العرب تكلم به مقدماً إلَّا في شعر»[٥] . وذكر ابن الأنباري في انتصاب ﴿جَزَآءً﴾ وجهين ؛ أحدهما : «المصدر على معنى : فيجزى الحسنى جزاء ، كما يقال : هو لك هبة . والآخر : أن ينتصب على التفسير بمعنى : فله الحسنى من جزاء ، كما قالوا : لك أسمنها كبشاً ؛ أي من كبش»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ .قال الكلبي : «أي خيراً»[٧] . وقال مجاهد : «معروفاً»[٨] . وقال أبو إسحاق : «أو نقول له قولاً جميلاً»[٩] .

---

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم في رواية أبي بكر ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ منوناً منصوباً . انظر : السبعة ٣٩٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٠ ، والغاية في القراءات ٣١٢ ، والتبصرة ٢٥١ ، والنشر ٢/ ٣١٥ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٩ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٩ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٠ .

(٥) ذكره الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٠ .

(٦) ذكر بلا نسبة في إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٩٥ ، والدر المصون ٧/ ٥٤٣ .

(٧) ورد نحوه بلا نسبة في جامع البيان ١٦/ ١٣ ، والكشاف ٢/ ٤٠١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١١ .

(٨) جامع البيان ١٦/ ١٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤٤٨ .

(٩) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٩ .

وقال عبـــاس : «يريد كما يحيي المؤمنون بعضهم بعضاً ، مثل قول النبي ﷺ : يكن لك ما لنا ، وعليك ما علينا»[(١)] . فجعل القول باليسر هاهنا السلم والمشاركة معه في الخير والشر .

٨٩. وقولـــه تعالى : ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ إخبار عن ذي القرنين أنه ســـلك طريقاً آخرَ مما يوصله إلى المشرق .

٩٠. قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ . قال قتادة : «لم يكن بينهم وبين الشمس ستر ، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء»[(٢)] .

ونحو هذا قال الحسن[(٣)] . وقال الكلبي بإسناده عمن لقيهم : «كان أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ، وقال : كانوا عـــراة حفاة»[(٤)] . وعلى هذا القول لا ستر بينهم وبين الشمس مما يلبســـون . وعلى القول الأول من البناء . وجمع بينهما أبو إسحاق فقال : «لم يكن لهم شيء يظلهم من سقف ولا لباس»[(٥)] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٤ ، وتفســير القرآن للصنعاني ١/ ٣٤٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٠ ، وزاد المســير ٥/ ١٨٨ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٤ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٠١ ، والكشـــاف ٢/ ٤٠١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٤ ، وتفســـير القرآن العظيم ٣/ ١٥ ، ولعل هذه من الروايات الإسرائيلية .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٩ . قال ابن عطية في تفســـيره ٩/ ٣٩٨ : «والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشـــمس منهم وفعلها لقدرة الله – تعالى – فيهم ، ونيلها منهم ، ولو كان لهم أسراب تغني لكان ستراً كثيفاً ، وإنما هم في قبضة القدرة سواء كان لهم أسراب أو دور أو لم يكن ، ألا ترى أن الســـتر عندنا نحن إنما هو من الســـحاب والغمام وبرد الهوى ، ولو سلط الله علينا الشمس لأحرقتنا ، فسبحان المنفرد بالقدرة التامة !» .

٩١. قولــه تعــالى : ﴿كَذَٰلِكَ﴾ .اختلفوا في المشــبه به ، والمشــار إليه فقال الزجَّاج : «يجــوز أن يكون التقدير : وجدهــا تطلع على قوم ، كذلك القبيل الذي كانوا عند مغرب الشمس وأن حكمهم حكم أولئك»[١] . وقال غيره : «المعنى كما بلغ مغرب الشمس فكذلك بلغ مطلعها»[٢] . وقيل : «أتبع ســبباً ، كما أتبع ســبباً»[٣] . والقول ما قاله أبو إسحاق ؛ لأن التشــبيه بالكاف يجب أن يرجع إلى أقرب المذكور إليه ، والأقرب وجود القوم لا البلوغ والإتباع .

وقولــه تعــالى : ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ ؛ قال مقاتل : «وقــد أحطنا بما قبلــه علماً»[٤] . أي علمنا مــا كان عنده من الجيوش والعُــدَّة . وهذا معنى قول ابــن عباس ؛ لأنه يقول : «يقول الله ســبحانه : مكنته[٥] وملكتــه»[٦] . يعني أنا أعطيته ما كان عنده ، وإذا كان عطاؤه كان معلومه .

٩٢. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ثالثاً ، مما يبلغه قطراً من أقطار الأرض .

٩٣. قوله تعــالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قُــرئ : بالفتح ، والضم[٧] . قال أبو عبيدة : «السُّــد مضموم إذا كان مخلوقاً من فعل الله تعالى ، فإن

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٠٩ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٠١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١١ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٨ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ١٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٨ ، ١٨٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦١ .

(٤) بحر العلوم ٢/ ٣١١ .

(٥) في (ص) : (مكية) ، وهو تصحيف .

(٦) ذكرت كتب التفســير نحوه من دون نســبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ١٥ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٩ .

(٧) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ .بفتح السين ، وقرأ ابن عامر ، ونافع ، وحمزة ، والكســائي ، وعاصم في رواية أبي بكر (بين السُّــدَّينِ) بضم الســين . انظر : السبعة ٣٩٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧١ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٧ ، والتبصرة ٢٥١ .

كان من فعل الآدميين فهو سَـدٌّ مفتـوح»[١] . وهذا قول عكرمة[٢] ، والأخفش[٣] . وقال الكسائي : «ضم السين وفتحها سواء»[٤] .

وقال ابن الأعرابي : «كل ما قابلك فَسَدَّ ما وراءه فهو سَدٌّ وسُدٌّ ، وهذا نحو : الضَّعف والضُّعف ، والفَقر والفُقر»[٥] . وقال أبو علي الفارسي : «يجوز أن يكون السَّـد مصدراً ، والسُّد المسدود كالأشياء التي يفصل فيها من المصادر والأسماء ، نحو : السِّـقي والسُّـقي ، والطِّحن والطُّحن ، والشِّرب والشُّـرب ، والقَبْض والقُبْض ، وإذا كان كذلك فالأشـبه بين السـدين ؛ لأنه المسدود ، وأمَّا مَن فتح السين جعله اسماً للمسدود نحو : نَسجُ اليمن ، وضَربُ الأمير»[٦] .

وقال الأخفش : «المفتوحة أكثر اللغتين»[٧] .

قال ابن عباس : «هما جبلان ، سَـدَّ ذو القرنين مـا بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومَن سواهم»[٨] .

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٤١٤ ، وتهذيب اللغة (سد) ٢/ ١٦٥٥ .
(٢) جامع البيان ١٦/ ١٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠١ ، وزاد المسير ٥/ ١٨٩ ، ١٩٠ .
(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (سد) ٢/ ١٦٥٥ .
(٤) تهذيب اللغة (سد) ٢/ ١٦٥٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٣ .
(٥) زاد المسير ٥/ ١٨٩ ، وتهذيب اللغة (سد) ٢/ ١٦٥٥ ، والحجة ٥/ ١٧١ .
(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧١ .
(٧) ذكره الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧١ .
(٨) جامع البيان ١٦/ ١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٢ .

وقولــه تعــالى : ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ؛ أي يعلمونه فلا يســتنبطون من فحواه شيئاً ، وقُرئ :(يُفقهون) بضم الياء[١] . والمعنى : لا يكادون يفقهون أحداً قولاً ، فحذف أحد المفعولين كما حذف من قوله : ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا﴾ [الكهف :٢] وهذا الحذف غير ضيق . قال ابن عباس : «يريد لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم»[٢] .

٩٤. قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ .إن قيل : كيف خاطبوا ذا القرنين وقد وصفهم الله – تعالى – بأنهم لا يَفهمون ولا يُفهمون ؟

والجواب عن هذا أن يقال : كلم عنهم قوم آخرون مترجمة عن لغتهم ، فنسب القول إليهم ، لَمَّا كان بأمرهم وإرادتهــم ، وهذا على قول مَن يجعل يكادون صلة كقوله : ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [النور :٤٠][٣] .

ومَن لم يجعل صلة قال : هم يَفقهون ويُفقهون ، وإذا قلت : لا يكاد فلان يفعل كذا ، كان المعنى أنه يقــارب أن لا يفعل ولكن يفعل[٤] . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة :٧١] .

---

(١) قــرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر ﴿يَفْقَهُونَ﴾ بفتح الياء والقاف ، وقرأ حمزة ، والكسائي (يُفْقِهون) بضم الياء وكسر القاف . انظر : السبعة ٣٩٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٢ ، والمبسوط ٢٣٩ ، والتبصرة ٢٥٢ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٠١ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣١٢ من دون نسبة .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٠١ ، ٢٠٢ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٠ ، وفتح القدير ٣/ ٤٤٥ .

(٤) زاد المسير ٥/ ١٩٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٣٨ ، ومفاتح الغيب ٢١/ ١٧٠ .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ .أكثر أهل العلم على أن هذين اسمان أعجميان مثل : طالوت وجالوت ، وهاروت وماروت ، لا ينصرفان للتعريف والعجمة[١] . والقراءة فيها : بترك الهمز ، وقرأ عاصم بالهمز[٢] . قال الليث : «والهمز لغة رديئة»[٣] .

وذكر الأخفش ، والزجَّاج ، وأبو علي وجه جواز كون الاسمين عربيين فقالوا : «مَن همز يأجوج يجوز أن يكون عربياً ، ويكون على وزن يفعول مثل : يربوع ، من أَجَّةِ النار والحر ، ومَن لم يهمز أمكن أن يكون خفف الهمزة فقلبها ألفاً مثل راس ، وأمَّا يأجوج فيمَن همز : فمفعول[٤] من أجَّ ، والكلمتان من أصل واحد في الاشتقاق ، ومَن لم يهمز فيجوز أن يكون خفف الهمزة كما ذكرنا ، ويجوز أن يكون فاعول من مجَّ ، والكلمتان على هذا من أصلين ، وليستا من أصل واحد ، ويكون ترك الصرف فيهما للتأنيث والتعريف ؛ كأنه اسم للقبيلة كمجوس . وهذه التمثيلات لا يصح فيها إن جعلتها من العجمي ؛ لأن العجمي لا يشتق[٥] من العربية»[٦] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٣ .

(٢) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي (ياجوج وماجوج) بغير همز ، وقرأ عاصم ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ بالهمز . انظر : السبعة ٣٩٩ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٢ ، والغاية في القراءات ٣١٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٧٧ .

(٣) لم أقف عليه ، وهو قول ضعيف لا يصح ؛ لأنه مخالف لقراءة سبعية ثابتة متواترة عن النبي ﷺ ، والقراءة الصحيحة حجة على اللغة .

(٤) قوله : (فمفعول) ساقط من نسخة (ص) .

(٥) في (ص) : (لا يسبق) ، وهو تصحيف .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٠ ، ومعاني القرآن للأخفش ٦٢١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٣ .

قـــال ابن الأنباري : «وجه همزه على هذا القول أنه لا يعرف له أصل ، كما أن العرب همزت حروفاً لا تعرف للهمزة فيها أصل ، كقولهم : لبأت[١] ، ورثأت[٢] ، واستنشأت الريح[٣] ، وإذا كان هذا معروفاً في أبنية العرب كان معروفاً في الألفاظ التي أصلها للعجم»[٤] . هذا هو الكلام في أصل الكلمتين من العربية .

وأمَّا المسمون بهذين الاســـمين ، فقال وهب : «هم من ولد يافث بن نوح ، أب الترك»[٥] . وهذا قول مقاتل بن سليمان[٦] .

وقال الضحاك : «هم جيل من الترك»[٧] . وقال السُّـــدِّي : «الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تعبر ، فجاء ذو القرنين فبنى السد على إحدى وعشرين قبيلة ، وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك»[٨] .

---

(١) لبـــأت : اللبأ هو أول اللبن في النتاج ، تقول : لبـــأت الناقة إذا حلبت لباء . انظر : تهذيب اللغة (لب) ٤/ ٣٢٢٤ ، والصحاح (لبأ) ١/ ٧٠ .

(٢) رثـــأت : الرِثيئة الحامض يحلب عليه فيخثر . انظر : تهذيب اللغة (رث) ٢/ ١٣٥٨ ، ولســـان العرب (رثأ) ٣/ ١٥٧٩ ، ١٥٨٠ .

(٣) اسْتَنْشـــأت : من نَشَـــيْت الريح بلا همز ؛ أي شممتها . والاستنشـــاء يهمز ولا يهمز ، وقيل : هو من الإنشاء : الابتداء . انظر : تهذيب اللغة (نشأ) ٤/ ٣٥٦٦ ، ولسان العرب (نشأ) ٧/ ٤٤١٨ .

(٤) ذكر في فتح القدير ٣/ ٣١٢ ، وورد معناه بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٤ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٣ ، والدر المصون ٧/ ٥٤٥ .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٦ ، وروح المعاني ١٦/ ٣٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٦ ، وفتح القدير ٣/ ٤٤٥ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٢ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٣٨ .

(٨) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٢ ، وزاد المســـير ٥/ ١٩٠ ، والجامع لأحكام القـــرآن ١١/ ٥٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٣ .

وقال كعب : «هم نادرة في ولد آدم ، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم ، وامتزجت نطفته بالتراب ، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج ، فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم»[١] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «هم عشرة أجزاء ، وولد آدم كلهم جزء»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ . قال قتادة «هما : حيَّان حيَّا سوء ، كانا أهل بغي وظلم على مَن جاورهما»[٣] .

وقال الكلبي : «كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين شكوهم إلى ذي القرنين أيام الربيع ، فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلَّا أكلوه»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ وقُرئ : خَرَاجاً[٥] .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٦ ، وذكره ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٣/ ١١٦ ، وقال : «وهذا قول غريب جداً ، لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحيكه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة ، والله أعلم» ، وقال القرطبي ١١/ ٥٦ : «وهذا فيه نظر ، لأن الأنبياء صلوات الله عليهم لا يحتلمون» . انظر : روح المعاني ١٦/ ٣٨ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٢ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٥٩ من دون نسبة ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٤ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٤ ، والكشاف ٢/ ٤٠٢ .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألف ، وقرأ حمزة ، والكسائي (خراجاً) بألف . انظر : السبعة ٤٠٠ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٧٤ ، والمبسوط ٢٣٩ ، والتبصرة ٢٥٢ .

قال ابن عباس : «يريد : جعلاً»[١] .

قال الليث : «الخَرْجُ والخَرَاجُ شيء واحد ، وهو شيء يُخرجه القوم من مالهم بقدر معلوم»[٢] . والمعنى على هذا : هل نخرج إليك من أموالنا [شيئاً كالجُعل لك عطية نخرجه إليك من أموالنا][٣] ، وكل ما استخرج من ضَريبة وجزية وغلة فهو خَراج وخَرْج ، ومنه الحديث : «الخَرَاج بالضمان»[٤] . يعني الغَلَّة ، سمي خراجاً وخَرْجاً ؛ لأن المؤدي يُخرجه ، والآخذ يستخرجه .

وفصل قوم بين الخَرْج والخراج فقالوا : «الخرج المصدر لما يخرج من المال كالضرب والقطع ، والخراج الاسم لما يخرج من الأرض ونحوه كالنبات والحصاد ، فالخرج والخراج بمنزلة الحصد والحصاد» . وهذا معنى قول الفرَّاء والزجَّاج[٥] .

وقال ابن الأعرابي ونحو هذا قال ثعلب : «الخرج أخص ، والخراج أعم . يقال : أدَّى خرج رأسه ، وأخذ الإمام خراج البلد»[٦] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٠٣ ، وزاد المسير ٥/ ١٩١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٤ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥١ .

(٢) زاد المسير ٥/ ١٩١ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٤ ، وتهذيب اللغة (خرج) ١/ ١٠٠٣ .

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في (ص) .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب البيوع ، باب ما جاء في من يشتري العبد ويستعمله ثم يجد به عيباً ٣/ ٥٨١ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، والنسائي في كتاب البيوع ، باب الخراج بالضمان ٧/ ١٨٢ ، وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب الخراج بالضمان ٢/ ٧٥٣ ، وأبو داود في كتاب البيوع ، باب في من اشترى عبداً فاستعمله ثم وجد به عيباً ٣/ ٧٧٧ ، والحاكم ٢/ ١٥ ، وصحَّحه ووافقه الذهبي .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٠ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٩ .

(٦) البحر المحيط ٦/ ١٦٤ ، وروح المعاني ١٦/ ٣٩ .

وقد حكى أبو عبيدة : «العبد يؤدي إليك خرجه ؛ أي غلته ، والرعية تؤدي إلى الأمير الخرج»[١] . فحكى الخرجة في الضريبة التي على الأرضين فدل أن كلامهما بمعنى . وقال العجاج[٢] :

يومَ خراجٍ يُخْرِج السمرَّجا

وهذا ليس على الضرائب التي ألزمت الأرضين ؛ لأن ذلك لا يكاد يضاف إلى وقت من يوم وغيره ، وإنما هو شيء مؤبد لا يتغير عما عليه[٣] . وقال أبو الحسن : «لا أدري أيهما أكثر في بلاد العرب»[٤] .

٩٥. ويدل على أن المراد بالخَرْج والخَرَاج هاهنا : العطية منهم له قوله تعالى في جوابه لهم : ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ ، والمعنى : ما مكنني فيه من الاتساع في الدنيا ، خير من خرجكم الذي تبذلونه لي . ومكَّن منقول من مكن يقال : مكُنَ مَكَانَةً ، وهو مَكِين عند السلطان من قوم مُكناء ، ومكَّن غيره إذا جعله ذا تمكن . وقراءة العامة : ما ﴿مَامَكَّنِّي﴾ بنون واحدة مشددة[٥] . أدغموا النون في النون لاجتماع النونين كقوله :

---

(١) تهذيب اللغة (خرج) ١/ ١٠٠٣ .

(٢) هذا عجز بيت العجاج ، وصدره :

عَكْفَ النبيطِ يلعبونَ الفَنْزَجا

الفنزجا : يعني به رقص المجوس إذا أخذ بعضهم يد بعض وهم يرقصون . والسمرجا : يوم للعجم يستخرجون فيه الخراج في ثلاث مرات ، وعرَّبه رؤبة بأن جعل الشين سيناً . انظر : ديوانه ٢٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٤ ، وتهذيب اللغة (سمرج) ٢/ ١٧٥٣ ، ولسان العرب (شمرج) ٤/ ٢٣٢٣ .

(٣) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٧٤ .

(٤) ذكر نحوه الأزهري في تهذيب اللغة (خرج) ١/ ١٠٠٣ .

(٥) قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم ﴿مَامَكَّنِّي﴾ بنون واحدة مشددة ، وقرأ ابن كثير (ما مكنني) بنونين . انظر : السبعة ٤٠٠ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٩ ، والنشر : ص ٣١٥٢ .

﴿لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف :١١] ، وقرأ ابن كثير : بنونين ؛ لأنهما من كلمتين والثانية غير لازمة ؛ لأنك تقول : مكنتك ومكنته فلم تدغم[١] .

قال ابن عباس : «يريد ما أعطاني وملكني أفضل من عطيتكم»[٢] .

وقوله تعالى :﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ ؛ قال : «يريد بقوة الأبدان»[٣] .

وقال الزجَّاج : «بعمل يعملونه»[٤] .

معنى : ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ؛ سدّاً وحاجزاً .

قال ابن عباس : «وهو أشد الحجاب»[٥] .

ومعنى الرَّدم في اللغة : سدُّك باباً كله أو ثلمةً أو مدخلاً ، يقال : رَدَمَه يردمه ردماً[٦] .

قال أبو إسحاق : «والرَّدْمُ في اللغة أكثر من السدِّ ؛ لأن الردم ما جعل بعضه على بعض ، يقال : ثوب مردم إذا كان قد رُقِع رقعة فوق رُقعة»[٧] .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٧٨ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٣ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٠٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٩ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧١ ، وأنوار التنزيل ٣/ ٢٣٦ .

(٣) المحرر الوجيز ٩/ ٤٠٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٠ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١١ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٢٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٢ ، وروح المعاني ١٦/ ٤٠ ، وفتح القدير ٣/ ٤٤٦ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (ردم) ٢/ ١٣٩٥ ، والقاموس المحيط (ردم) ١١١٢ ، والمعجم الوسيط (ردم) ١/ ٣٣٩ ، ومختار الصحاح (ردم) ١٠١ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١١ .

٩٦. قوله تعالى : ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ .لم يرد فأتوني استدعاء تمليك عين ، ولكن تمليك المناولة بالأنفس ؛ لأنه كلفهم المعونة على عمل السد بقوله : ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ ، ولم يقل : الخرج الذي بذلوه ، فلا يسألهم الحديد أيضاً[١] . وهذا معنى قول ابن عباس : «يريدا احملوا إلي زبر الحديد»[٢] . ألا ترى أنه فسره بالحمل إليه لا بمعنى التمليك ؟ .

قال الفرَّاء : «معناه : آتوني»[٣] . يريد : فلمَّا ألقيت الباء زيدت ألف ، كما تقول : قد أتيتك زيداً ، تريد : أتيتك بزيد ، ويقوي هذا المعنى الذي ذكرناه قراءة مَن قرأ : ائتوني[٤] . موصولاً من الإتيان على معنى جيؤني ، وهو هاهنا حسن لاختصاصه بالمعونة فقط دون أن يكون سؤال عينه . وعلى هذه القراءة انتصب زبر الحديد بحذف الحرف اتساعاً ، فيصل الفعل إلى المفعول الثاني على حد : أمرتك الخير ، والتقدير : ايتوني بزبر الحديد[٥] .

وزبر الحديد : قطعه في قول الجميع . قال الليث : «زبرة الحديد : قطعة ضخمة منه»[٦] . وأصلها الاجتماع ومنه : زبرى الأسد ، وهي : ما اجتمع من الشعر على كاهله ، وزَبَرْت الكتاب : إذا كتبته ؛ لأنك جمعت حروفه ، وزبرة الحديد : جملة مجتمعة منه[٧] .

---

(١) المحرر الوجيز ٩/ ٤٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٠ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٤ .

(٢) زاد المسير ٥/ ١٩٢ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٠ .

(٤) قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وابن كثير ، وحفص عن عاصم ﴿رَدْمًا ءَاتُونِي﴾ بالمد ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (ردماً ائتوني) بالقصر وكسر التنوين ووصل الألف . انظر : السبعة ٤٠٠ ، والحجة ٥/ ١٧٥ ، والتبصرة ٢٥٢ ، والمبسوط ٢٤٠ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٥ ، وحجة القراءات ٤٣٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٧٩ .

(٦) تهذيب اللغة (زبر) ٢/ ١٥٠٦ ، ولسان العرب (زبر) ٣/ ١٨٠٤ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (زبر) ٢/ ١٥٠٦ ، ومقاييس اللغة (زبر) ٣/ ٤٤ ، والصحاح (زبر) ٢/ ٦٦٦ ، ولسان العرب (زبر) ٣/ ١٨٠٤ .

قال ابن عباس في تفسير ﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ : «هي على قدر الحجارة التي يبنى بها قدر ما يحمل الرجل»[١] . ومعنى الآية : أنه يأمرهم أن ينقلوا إليه زبر الحديد ليعمل بها الردم في وجوه يأجوج ومأجوج ، فأتوه بها فبناه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ قال الفرَّاء : «ساوى وسوَّى بينهما : واحد»[٢] . والمعنى : أنه جمع زبر الحديد ووضع بعضها على بعض بين الصدفين حتى سوى بينهما بالحديد . والصدفان : الجبلان في قول جميع المفسرين[٣] . قال أبو عبيدة : «الصدفان جانبا الجبل»[٤] . ونحوه قال الزجَّاج[٥] .

وقال الأزهري : «الصَّدف والصُّدْفة الجانب والناحية ، يقال لجانبي الجبل إذا تحاذا صدفان لتصادفهما ؛ أي تلاقيهما ، ومن هذا يقال : صادفت فلاناً أي ؛ لاقيته»[٦] . ويقال للبناء العظيم المرتفع : صَدَف . شبه بجانب الجبل ، ومنه الحديث : «إذا مر بصدف مائل أسرع المشي»[٧] . وفيه ثلاثة أوجه من القراءة : (الصدفين) بضم الصاد والدال ، و(الصدفين) بفتحهما ، و(الصدفين) بضم الصاد وتسكين الدال[٨] ، وكلها لغات في هذه الكلمة فاشية .

---

(١) ذكر نحوه الطبري في جامع البيان ١٦/ ٢٤ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣١٣ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٠ .

(٣) جامع البيان ١٦/ ٢٤ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٠٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦١ .

(٤) مجاز القرآن ١/ ٤١٤ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١١ .

(٦) تهذيب اللغة (صدف) ٢/ ١٩٨٩ .

(٧) أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٣٥٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأورده القرطبي ١١/ ٦١ ، وأورده الأزهري في تهذيب اللغة (صدف) ١٢/ ١٤٦ .

(٨) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر : (الصدفين) بضم الصاد والدال . ، وقرأ نافع ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ بفتح الصاد والدال ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (الصدفين) بضم الصاد وتسكين الدال .انظر : السبعة ٤٠١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٧ ، والعنوان في القراءات ١٢٥ ، والتبصرة ٢٥٢ ، والنشر ٢/ ٣١٦ .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ .قال ابن عباس : «يريد انفخوا على زبر الحديد بالكير»[١] . قال الزجَّاج : «جعل بينهما الحطب والفحم ، ووضع عليها المنافيخ حتى إذا صارت كالنار ، وهو قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ .والحديد إذا أُحمي بالفحم والمنفاخ صار كالنار»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ .قال ابن عباس : «أذاب النحاس ، ثم أفرغه على زبر الحديد فاختلط ولصق بعضه ببعض ، حتى صار جبلاً صلداً من حديد ونحاس»[٣] . قال قتادة : «وهو كالبُرْد المحبَّر طريقة سوداء ، وطريقة حمراء»[٤] .

والقطر : النحاس الذائب ، وأصله من القطر ؛ وذلك أنه إذا أذيب قطر كما يقطر الماء[٥] .

ومضى الكلام في الإفراغ . وقُرئ : ايتوني[٦] ، موصولاً من الإتيان على معنى : جيؤوني به . واللفظ على اتصال الفعل إلى المفعول الثاني بالحرف ، إلَّا أنه أعمل الفعل الثاني وهو الإفراغ ، ولو أعمل الأول لكان أفرغه عليه ، وقد

---

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣١٣ ، والقرطبي ١١/ ٦٢ ، وروح المعاني ١٦/ ٤١ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١١ .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣١٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٥ ، والكشاف ٢/ ٤٠٢ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٣ ، والقرطبي ١١/ ٦٢ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٣ ، والقرطبي ١١/ ٦٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٦ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (قطر) ٣/ ٢٩٩٠ ، ومقاييس اللغة ٥/ ١٠٥ ، والقاموس المحيط ٤٦٣ ، والصحاح ٢/ ٧٩٦ ، والمعجم الوسيط ٢/ ٧٤٤ .

(٦) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿ءَاتُونِيٓ﴾ ممدوداً ، وقرأ حمزة ، وعاصم في رواية أبي بكر (آتوني) قصراً . انظر : السبعة ٤٠١ ، والحجة للقرَّاء السبعة ٥/ ١٧٨ ، والغاية في القراءات ٣١٣ ، والتبصرة ٢٥٣ .

وصل الفعل الأول هاهنا إلى المفعول الثاني بلا حرف ، كما ذكرنا في قراءة مَن قرأ (إيتوني بزبر الحديد) ، ومن قرأ آتوني أفرغ عليه فمعناه : ناولوني . كما ذكرنا في أول الآية[1] .

قال ابن الأنباري : «يجوز أن يكون ﴿قِطْرًا﴾ معمول ﴿ءَاتُونِيٓ﴾ وأضمر لأفرغ مفعول على تقدير : أفرغه ، وحذف لدلالة ﴿قِطْرًا﴾ عليه . ويجوز أن يكون معمول أفرغ وأضمر لآتوني مفعول على تقدير : آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً ، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه»[2] .

٩٧. قوله تعالى : ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ أصله استطاعوا ، فلما اجتمعت متقاربتان ، وهما التاء والطاء ، أحبوا التخفيف بالإدغام ، كما أحبوا ذلك في المثلين ، فلمَّا لم يسمع التخفيف بالإدغام لتحريك ما لم يتحرك في موضع ، وذلك أنه كان يلزم تحريك السين لئلا يجتمع ساكنان ، ولم تُحرك سين استفعل في موضع ، فلمَّا لم يسمع هذا عدل عن الإدغام إلى الحذف ، كما أنه لمَّا اجتمع المثلان في قولهم : على الماء بنو فلان ، حذفوا أحد المثلين ، فقالوا : عَلْمَاءِ ، ولم يسمع الإدغام ، وإن كانت تتحرك لام المعرفة في الماء ، فحذفوا الأول من المثلين حيث لم يتجه الإدغام . والحذف في اسطاع أولى ، لأن هذه السين لم تتحرك في موضع شيء من الحركات ، وقد تحرك لام المعرفة نحو قولهم : أَلْحَمَرُ في الأحمر ، فلما حذفوا في : عَلْماء أحد المثلين ، ولم يدغموا مع جواز تحريك لام المعرفة فلا يؤدي إلى الجمع بين ساكنين كان الحذف في اسطاع أولى . وقد أجروا المتقاربين في مجرى المثلين فقالوا : بلغني لمَّا كانت النون

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٨ ، وحجة القراءات ٤٣٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٧٩ .

(٢) ذكر نحوه بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٥ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٥ ، والكشاف ٢/ ٣٩٨ ، والدر المصون ٧/ ٥٤٩ .

متقاربة للام وكانت تدغم فيها نحو : مَنْ لَكَ ، أريد إدغام في هذا الموضع أيضاً ، فلمَّا لم يسمع ذلك عندهم خففوا بالحذف كما خففوا به في المثلين .

وفي (استطاع) لغة ثالثة ، وهو قولهم : يستيع في يستطيع ، وهذا يحتمل أمرين ؛ أحدهما : [أنه أبدل من الطاء التي هي فاء التاء لقربها من الحرف الذي قبلها ، فأبدل التاء لتوافق السين في الهمس ، كما أبدل الدال][(١)] من التاء في نحو : ازدان ليوافق ما قبله في الجهر . والآخر : أن يكون حذف الطاء لما يستقيم إدغام ما قبلها من المتقارب فيها ، كما حذف المثل والمقارب من : عَلْماء بنو فلان ، وبَلْعَنْبَر ، ويكون هذا في أنه حذف من الكلمة الأصل للتخفيف ، بمنزلة قولهم : تقيت ، ألا ترى أنه في الأصل اتَّقى فحذف الفاء التي هي في الأصل واو ، فلمَّا حذفها سقطت همزة الوصل المجتلبة لسكون الفاء فبقي : تَقَيْتُ على فعلت[(٢)] .

فأمَّا قولهم : أسطاع بقطع الألف ، يُستطيع بضم الياء ، فقال أبو علي الفارسي : «قولهم : أسطاع أَفْعَلَ ، وإنما ألحقت السين لنقل الحركة إلى الفاء وتهيئة الكلمة بنقل الحركة فيها للحذف ، ألا ترى أنها هيأت الكلمة للحذف منها في نحو : لم يَسْطِعْ ؟ ومثل السين في ذلك الهاء ، ففي قول مَن قال : أَهْرَاق يُهَرِيق ، فالهاء في أنها عوض مثل السين في اسْطاع ، وليس هذا العوض بلازم ، ألا ترى أن ما كان نحوه لم يلزم هذا العوض»[(٣)] ، هذا كلامه .

وشرحه أبو الفتح الموصلي فقال : «قولهم : أسطاع يستطيع ، ذهب سيبويه فيه إلى أن أصله : أطاع يُطِيع ، وأن السين زيدت عوضاً من حركة عين الفعل ،

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .
(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٨١ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٩٩ ، والكتاب لسيبويه ٤/ ٢٨٥ .
(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٩ .

وذلك أن أطاع أصله : أَطْــوَع ، فنقلت فتحة الواو إلى الطاء ، فانقلبت الواو ألفاً لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن»[١] .

وتعقب أبو العباس هذا القول فقال : «إنما يعوض من الشيء إذا فقد وذهب ، فأمَّــا إذا كان موجوداً في اللفظ فلا وجه للتعويض منه ، وحركة العين التي كانت في الواو قد نقلــت إلى الطاء التي هي الفاء ، ولم تعــدم ، وإنما نقلت[٢] فلا وجه للتعويض من شيء موجود غير مفقود»[٣] .

«والذي يدل على صحة قول سيبويه في هذا وأن السين عوض من حركة عين الفعل ، هو أن الحركــة التي هي الفتحة ، وإن كانت كما قال أبو العباس موجودة منقولة إلى الفاء لَمَّا فقدتها العين ، فســكنت توهنت بالسكون ، وبالتهيؤ للحذف عند ســكون اللام وذلك قولــك : لا تُطِع ، وأطِع ، ولم يُطِــع ، ففي كل هذا قد حذفت العين لالتقاء الساكنين ، ولو كانت العين بحالها متحركة لما حذفت ؛ لأنه لم يكن هناك التقاء ساكنين ، ألا ترى أنك لو قلت : أَطْوَع ، يُطْوِع[٤] ، ولم يُطْوِع ، وأَطْــوَعْ زيداً ، لصحت العــين ولم تحذف ؟ فلَمَّا نقلت عنها الحركة وســكنت ، ســقطت لاجتماع الســاكنين ، فكان هذا توهيناً وضعفاً للعين ، فجعلت السين عوضاً عن ســكون العين الموهِّن لها المسبب لقلبها ، وحركة الفاء بعد سكونها لا تدفع عن العين ما لحقها من الضعف في الســكون والتهيؤ للحذف عند ســكون اللام .

ويؤكد ما قال سيبويه من أن السين عوض من ذهاب العين ، أنهم قد عوضوا مــن ذهاب حركة هذه العين حرفاً آخرَ غير الســين ، وهو الهاء في قول مَن قال :

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٩ ، والكتاب لسيبويه ٤/ ٢٨٥ ، ٤٨٣ .

(٢) في (ص) : (وإنما نقلت الطاء التي هي الفاء) .

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٩ ، والممتع ٢٢٤ ، وشرح المفصل ١٠/ ٦ .

(٤) في نسخة (ص) : (تطوع) .

أهْرَقت فسكن الهاء ، وجمع بينها وبين الهمزة ، فالهاء هاهنا عوض من ذهاب فتحة العين ؛ لأن الأصل : أرْوَقت ، فجعلوا الهاء عوضاً من نقل فتحة العين عنها إلى الفاء ، وأنشد[١] :

فأصبحتُ كالمهريقِ فضلةَ مائهِ لضاحي سرابٍ بالملا يترقرقُ

انتهى كلامه[٢] .

أخبرني العروضي عن الأزهري عن المنذري عن الحراني[٣] عن ابن السكيت قال : «يقال ما أستطيع ، وما أسطيع ، وما أستيع ، وما أسطيع أربع لغات»[٤] ، وقد ذكرنا وجوهها .

وقرأ حمزة : (فما اسطاعوا) مشدداً الطاء ، كأنه أدغم بالافتعال في الطاء[٥] .

---

(١) ينسب هذا البيت إلى كثير .
الضاحي : البارز . والملا : الصحراء . وترقرق : يلمع . انظر : ديوانه ٢٣٧ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٠٢ ، والأغاني ٩/ ١٢ ، ورصف المباني ٤٠١ ، ولسان العرب (هرق) ٨/ ٤٦٥٥ .

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠٢ ، والكتاب لسيبويه ٤/ ٢٨٥ ، ٤٨٣ .

(٣) عبدالله بن الحسن بن أحمد الأموي ، أبو شعيب الحراني ، إمام ثقة ، محدث صدوق ، لازم ابن السكيت وأخذ عنه ، توفي ـرحمه اللهـ في بغداد سنة ٢٩٥هـ . انظر : تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٥ ، وإنباه الرواة ٢/ ١١٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣٦ ، ولسان الميزان ٣/ ٢٧١ .

(٤) تهذيب اللغة (طاع) ٣/ ٢١٥٢ .

(٥) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي ، وعاصم ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ﴾ بتخفيف الطاء ، وقرأ حمزة (فما اسطَّاعوا) مشددة الطاء . انظر : السبعة ٤٠١ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ١٧٨ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٠ ، والتبصرة ٢٥٣ .

قال أبو إسحاق : «مَن قرأ بهذه القراءة فهو لاحن مخطئ ، زعم ذلك الخليل ، ويونس ، وسيبويه وجميع مَن يقول بقولهم ، وحجتهم في ذلك : أن السين ساكنة وإذا أدغمت التاء في الطاء صارت طاء ساكنة ، ولا يجمع بين ساكنين»[(١)] .

قال أبو علي : «وقد قرأت القرَّاء غير حرف من هذا كقوله : ﴿لَا تَعَدُّواْ فِي﴾ [النساء :١٥٤] في قراءة مَن شدد الدال فأدغم فيها تاء افتعل[(٢)] ، وكذلك قراءة مَن قرأ : ﴿لَا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس :٣٥][(٣)] ، ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ [يس :٤٩][(٤)] .

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٢ . إن طعنهم في قراءة حمزة ـ رحمه الله ـ مردود ؛ فهي قراءة متواترة ، والجمع بين الساكنين في هذا سائغ جائز مسموع في مثله ، فقد ذكر ابن الجزري في النشر ٢/ ٣١٦ عن أبي عمرو قوله : «ومما يقوي ذلك ويسوغه أن الساكن الثاني لَمَّا كان اللسان عنده يرتفع عنه وعن المدغم ارتفاعة واحدة صار بمنزلة حرف متحرك ، فكأن الساكن الأول قد ولى متحركاً» . وذكر في غيث النفع ١٥٠ : «أن منع الجمع بين الساكنين أصل مختلف فيه عند أهل العربية ، والقراءة لا تتبع العربية ، بل العربية تتبع القراءة ، لأنها مسموعة من أفصح العرب وهو النبي ﷺ وأصحابه من بعده» . وقال ابن الحاجب : «إذا اختلف النحويون والقرَّاء كان المصير إلى القرَّاء أولى ، لأنهم ناقلون عمن ثبتت عصمته من الغلط ، ولأن القراءة ثبتت تواتراً وما نقله النحويون آحاد» . انظر : المحرر الوجيز ٩/ ٤٠٨ ، والنشر ٢/ ٣١٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٩٥ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٨٠ .

(٢) قرأ نافع (لا تعْدُّوا) بتسكين العين وتشديد الدال ، وروى عنه ورش (لا تعَدُّوا) بفتح العين وتشديد الدال ، وقرأ بقية القرَّاء ﴿لَا تَعَدُّواْ﴾ بتخفيف الدال وإسكان العين . انظر : السبعة ٢٤٠ ، والحجة في القراءات السبع ٥/ ١٩٠ ، والتبصرة ١٨٥ ، والنشر ٢/ ٢٥٣ .

(٣) قرأ أبو بكر عن عاصم (أمن لا يِهِدِّي) بكسر الياء والهاء وتشديد الدال ، وقرأ حفص عن عاصم (أمن لا يَهِدِّي) بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ، وقرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وورش عن نافع (أمن لا يَهَدِّي) بفتح الياء والهاء وتشديد الدال ، وقرأ حمزة ، والكسائي (أمن لا يَهْدي) بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال ، وقرأ أبو عمرو ، وقالون عن نافع (أمن لا يَهدِّي) بفتح الياء وتشديد الدال . انظر : السبعة ٣٢٦ ، والتبصرة ٢٢٠ ، والمبسوط في القراءات ٢٠٠ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٤٩ ، والنشر ٢/ ٢٨٣ .

(٤) قرأ حمزة (يُخصمون) بإسكان الخاء وتخفيف الصاد ، وقرأ أبو عمرو ، وقالون عن نافع : (يُخصّمون) بإسكان الخاء وتشديد الصاد ، وقرأ ورش عن نافع ، وابن كثير (يَخَصّمون) بفتح الخاء وتشديد الصاد ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، والكسائي ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بكسر الخاء وتشديد الصاد . انظر : السبعة ٥٤١ ، والتبصرة ٣٠٦ ، والمبسوط في القراءات ٣١٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢١٧ .

وقدمنا وجه ذكر هذا النحو»[١] .

وقال ابن الأنباري : «عظم تشنيع البصريين على حمزة في هذا الحرف ، وتلحينهم إياه ، وقولهم : جمع بين ساكنين لا ينبسط اللسان عليهما ، وفي هذا تعدٍّ منهم عليه ؛ إذ جرى إلى مثله جماعة من القرَّاء ، فلم ينسبوا إلى الذي نسب إليه ، فقد قرأ الحسن : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة :١٨٥] بالإدغام[٢] ، فإنه يقرؤه ، ويقرأ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾ [يوسف :٣] ، ﴿وَٱلْحَرْثِّ ذَٰلِكَ﴾ [آل عمران :١٤] ، ومعلوم أن الإدغام إذا وقع هاهنا اجتمع ساكنان ، وقرأ : ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ [الحج :٣١][٣] بالإدغام ، ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة :٢٠][٤] في نظائر يطول ذكرها ، ولا وجه للتشنيع على الأئمة والرؤساء في الخير بما يعرف له مساغ وطريق إلى الصواب»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ ؛ قال ابن عباس وغيره : «أن يصعدوه ويعلوه»[٦] . يقال : ظهرت السطح إذا صرت فوقه ، ومنه قوله تعالى : ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة :٣٣] معناه : ليعلنه .

---

(١) الحجة في القراءات السبع ٥/ ١٨١ .

(٢) قرأ أبو عمرو البصري ، والحسن (شهر رمضان) بإدغام راء (شهر) في راء (رمضان) . انظر : إتحاف فضلاء البشر ١/ ١٥٤ ، والقراءات الشاذة ٤٦ .

(٣) قرأ الحسن (فتخطفه الطير) بكسر الخاء والطاء وتشديدها . انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣١٥ ، والقراءات الشاذة ٦٨٥ .

(٤) قرأ الحسن (يخطف) بكسر الياء والخاء والطاء المشددة . انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٢٨ ، والقراءات الشاذة ٢٨ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) ذكره ابن عطية في تفسيره ٥/ ٤٠٨ من دون نسبة ، وكذلك السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣١٣ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا ٱسْطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ .يقال : نقبت الحائط : إذا خرقت فيه خرقاً يخلص إلى ما وراءه[١] . قال أبو إسحاق : «أي ما قدروا أن يعلوا عليه لارتفاعه وإملاسه ، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لشدته وصلابته»[٢] .

٩٨. قوله تعالى : ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ .قال ذو القرنين لمَّا فرغ من بنائه هذا . قال أبو إسحاق : «أي التمكين الذي أدركت به السد ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾»[٣] . وهذا معنى قول ابن عباس : «يريد معونة من ربي حيث ألهمني وقواني»[٤] .

وقال ابن الأنباري : «يجوز أن تكون الإشارة بهذا إلى السد ؛ أي هذا السد رحمة من ربي»[٥] . ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ ؛ يعني القيامة ، في قول ابن عباس[٦] .

وقال الكلبي : «يقول : أجل ربي أن يخرجوا منه»[٧] .

---

(١) تهذيب اللغة (نقب) ٤/ ٣٦٣٩ ، ومقاييس اللغة (نقب) ٥/ ٤٦٥ ، والقاموس المحيط (النقب) ١٣٩ ، والصحاح (نقب) ١/ ٢٢٧ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٢ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٢ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣١٤ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٥ . قال ابن سعدي في تفسيره ٥/ ٩٣ : ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ ؛ أي من فضله وإحسانه عليَّ .

(٥) ورد بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٤٠٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٥ .

(٦) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٠٥ من دون نسبة ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٥ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٢٧ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٥ .

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ ؛ أي دكَّــه دَكاً ، ويجوز أن يكون المعنــى : جعله ذا دك . ومَن قرأ : ﴿دَكَّآءَ﴾ ممدودة[١] ، كان التقدير : جعله مثل دكَّاء ، وهي : الناقة التي لا سنام لها[٢] ، فحذف المضاف ولا بد من تقدير الحذف ؛ لأن الســد مذكر ولا يوصف بدكاء ؛ لأنه من وصف المؤنث . ومضى الكلام في هذا في سورة الأعراف[٣] .

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ يعنــي : بالثــواب والعقــاب في القيامــة ، في قــول ابن عباس[٤] .

وقال الكلبي : «وكان أجل ربي بخروجهم حقّاً كائناً»[٥] .

٩٩. قوله تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ .يقال : ماجَ الماء يَمُوج ، إذا اضطرب ، وماجَ الناس ، إذا دخل بعضهم في بعض حيارى كموج الماء[٦] . قال كثــير من المفسرين : «تركنا الجن والإنس يدخل بعضهم

---

(١) قــرأ ابن كثير ، ونافــع ، وأبو عمرو ، وابن عامــر (دكّاً) منون غير مهموز ولا ممــدود ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وعاصم ﴿دَكَّآءَ﴾ ممدود مهموز بلا تنوين . انظر : السبعة ٤٠٢ ، والحجة للقراء ٥/ ١٨٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٤٠ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٨١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (دك) ٢/ ١٢١٢ ، والقاموس المحيط (دك) ٩٣٩ ، والصحاح (دك) ٤/ ١٥٤٨ ، والمعجم الوسيط (دكك) ١/ ٢٩١ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف :١٤٣] .

(٤) ذكرت كتب التفســير نحــوه من دون نســبة . انظر : النكــت والعيون ٣/ ٣٤٥ ، ومعــالم التنزيل ٥/ ٢٠٥ ، وزاد المســير ٥/ ١٩٥ ، والكشــاف ٢/ ٤٩٨ ، والجامــع لأحكام القــرآن ١١/ ٦٣ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٢ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٢٨ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٤٢ .

(٦) انظر : تهذيــب اللغة (مــاج) ٤/ ٣٣٢٢ ، والقاموس المحيــط (المــوج) ٢٠٦ ، والصحاح (موج) ١/ ٣٤٢ ، ولسان العرب (موج) ٧/ ٤٢٩٧ .

في بعض يوم القيامة»[١] . والصحيح أن قوله : ﴿بَعْضَهُمْ﴾ الكناية فيه عن يأجوج ومأجوج . يقول : تركناهم يوم انقضاء السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم[٢] . ثم ذكر نفخ الصور بعد هذا فقال : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ لأن : خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ حشرنا الخلق كلهم .

١٠٠. قوله تعالى : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ الآية . قال الفرَّاء : «أبرزناها حتى نظر إليها الكفار»[٣] .

وقال أبو إسحاق : «تأويل ﴿عَرَضْنَا﴾ أظهرنا لهم جهنم حتى شاهدوها ورأوها»[٤] ، ومضى الكلام في العرض[٥] .

١٠١. قوله تعالى : ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾ .الغطاء ما تغطيت به أو غطيت به ، والجمع الأغطية ، يقال : غطى الشيء ، وغطى عليه إذا ستره[٦] . ومعنى قوله : ﴿أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾ كقوله تعالى : ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة :٧] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، والكشاف ٢/ ٤٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٤ .

(٢) جامع البيان :١٦/ ٢٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٥ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٠ .

(٤) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٣ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة :٣١] .

(٦) تهذيب اللغة (غطى) ٣/ ٢٦٧٨ ، ومقاييس اللغة (غطو) ٤/ ٤٢٩ ، ولسان العرب (غطى) ٦/ ٣٢٧٣ ، والمصباح المنير (غطو) ١٧١ .

قال ابن عباس في قوله : ﴿عَن ذِكْرِى﴾ : «يريد عما جاء به محمد ﷺ من البينات والهدى»[(١)] . وصف الله - تعالى - هؤلاء الكفار بأنهم عمي عن آيات الله ، وأدلة توحيده لما سبق لهم من الشقاء ، وإذا لم يبصروا أدلة توحيده ، وعجائب قدرته لم يتذكروا بقلوبهم ؛ لأن العين رائد القلب ، ألا ترى أن الشاعر يقول[(٢)] :

ألا إنما العينانِ للقلبِ رائدٌ فما تألُفِ العينانِ فالقلبُ يألفُ

وهذا أبلغ في وصف غفلتهم من أن لو قيل[(٣)] : في غطاء عن الذكر ؛ لأن وصفهم بالعمى عن الأدلة يوجب غفلة قلوبهم ، ووصفهم بعمى القلوب لا يوجب عمى أبصارهم[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ .قال ابن عباس[(٥)] : «يريد لا يسمعون القرآن ولا يحبونه»[(٦)] . وقال أبو إسحاق : «كانوا لعدواتهم النبي ﷺ لا يقدرون أن يسمعوا ما يتلو عليهم ، كما تقول للكاره لقولك : ما يقدر أن يسمع كلامي»[(٧)] . قال ابن الأنباري : «كان يثقل عليهم السمع وهم له مستطيعون ، كما تقول : ما أستطيع البصر إليك . معناه : لَمَّا ثقل علي كنت كأني غير مستطيعه .

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٣١ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، والكشاف ٢/ ٥٠٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٣٥ ، وفتح القدير ٣/ ٤٥٠ .

(٢) لم أهتدِ إلى قائله .

(٣) في (ص) : (أن لو قيل قلوبهم) .

(٤) التفسير الكبير ٢١/ ١٧٣ ، وفتح القدير ٣/ ٤٥٠ .

(٥) قوله : (عباس) : ساقط من نسخة (ص) .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣١٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٥ ، ومدارك التنزيل ٢/ ٩٦٧ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٣٤٧ .

(٧) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٣ .

قال : ويجوز أن يكون الله منعه الاستطاعة ؛ لأن يسمع الهدى ، وجعل على بصره غطاء عقاباً من الله له على عناده الحق»[١] .

١٠٢. قوله تعالى : ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ . يقول : أفظنوا أنهم يتخذونهم أرباباً من دوني ؟ وعنى بالعباد هاهنا : المسيح ، والملائكة[٢] .

وقال ابن عباس : «يعني الشياطين ، تولوهم وأطاعوهم من دون الله»[٣] . وقال مقاتل : «يعني الأصنام سماها عباداً»[٤] ، كما قال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف :١٩٤] . وجواب هذا الاستفهام محذوف .

قال ابن عباس : «يريد أني لا أغضب لنفسي ، ولا أعاقبهم»[٥] . ويدل على هذا المحذوف قوله : ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ ، لأن هذا يدل على أنه يريد عقوبتهم .

وقال قوم : «هذا لا يقتضي جواباً ؛ لأنه أراد بالأولياء هاهنا الأنصار ، والمعنى : أفحسبوا أنهم اتخذوهم أنصاراً يمنعونهم من عذابي ويدفعون

---

(١) ذكر نحوه بلا نسبة في الكشاف ٢/ ٤٠٣ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٥ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٣١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٦ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٦ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٦ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٤ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٦ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٤ . قال الشنقيطي ـرحمه اللهـ في تفسيره ٤/ ١٩٠ : «والأظهر المتبادر من الإضافة في قوله : ﴿عِبَادِى﴾ أن المراد بهم نحو الملائكة ، وعيسى ، وعزير ، لا الشياطين ونحوه ؛ لأن مثل هذه الإضافة للتشريف غالباً ، وقد بيَّن - تعالى - أنهم لا يكونون أولياء لهم في قوله : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝١٠ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ الآية» .

(٥) معالم التنزيل ٥/ ٢٠٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٦ .

عنهم ؟»[١] . وهذا معنى قول الزجَّاج في هذه الآية قال : «تأويله : أفحسبوا أن ينفعهم اتخاذهم عبادي أولياء ؟»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿نُزُلًا﴾ .قال أبو إسحاق : «هو بمعنى : منزلاً»[٣] . وهو معنى قول ابن عباس : «يريد هي مثواهم ومصيرهم»[٤] . والنُّزُل على هذا التفسير المنزل .

وقال آخرون : النُّزُل ما يقام للضيف إذا نَزَل ، والنزالة الضيافة ، ومنه قوله[٥] :

فجاءتْ بِيَتْنٍ للنزالةِ أرشما

والمعنى : أن جهنم معدة لهم عندنا ، كما يهيؤ النُّزل للضَّيف النازل[٦] .

١٠٣. وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ؛ أي بالقوم الذين هم أخسر الخلق في ما عملوا . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد كفار أهل الكتاب»[٧] .

---

(١) زاد المسير ٥/ ١٩٦ ، والبحر المحيط ٧/ ١٦٦ .

(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٤ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٤ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢١٠ .

(٥) هذا عجز بيت للبعيث يهجو جريراً ، وصدره :

لقىً حملتْهُ أمُّهُ وهيَ ضيفةٌ

أرْشَما : الأرشم الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه . انظر : تهذيب اللغة (نزل) ٤/ ٣٥٥٥ ، ولسان العرب (رشم) ٣/ ١٦٥٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٩/ ٤١٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٠ ، والكشاف ٢/ ٤٠٣ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٧ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٦ .

(٧) معالم التنزيل ٥/ ٢١٠ .

وهـــو قول الكلبي : «اليهود والنصارى»[١] . وروي عن علي رضي الله عنه ، أنه قال : «هم الرهبان أصحاب الصوامع»[٢] .

وعنه أيضاً ، أنه قال : «هم أهل حَرَوْرَاء»[٣][٤] .

١٠٤. وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ . يجوز في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الخفض بالنعت للأخسرين . ويجوز الرفع على الاســتئناف على معنى : هم الذين ضل سعيهم ؛ بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا ، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ يظنــون أنهم بفعلهم محســنون . والصنع : مصــدر صَنَع إليه معروفاً يصنع صنعاً ، وأكثر ما يستعمل الصنع في الأعمال الحسنة[٥] .

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢١٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٧ ، ونسـبه إلى سـعد بن أبي وقاص ، وكذلك زاد المسير ٥/ ١٩٧ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٣٢ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٧ ، وزاد المسـير ٥/ ١٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٦ .

(٣) حَرَوراء (بفتحتين ، وسكون الواو ، وراء أخرى ، وألف ممدودة) : قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها ، نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فنسـبوا إليها . انظر : معجم البلدان ٢/ ٢٤٥ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٣٤ ، وتفسير القرآن للصنعاني ١/ ٣٤٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٠ . قال ابن كثير في تفسـيره ٣/ ١١٩ : «إن هذه الآية تشـمل الحرورية ، كما تشـمل اليهود والنصـارى وغيرهم ، لا أنها نزلـت في هؤلاء على الخصوص ، ولا هؤلاء ، بـل هي أعم من هذا ، فـإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى ، وقبل وجود الخوارج بالكلية ، وإنما هي عامة في كل من عبدالله على غير طريقة مرضية يحسـب أنه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله مردود ، كما قاله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية :٢-٤]» .

(٥) تهذيب اللغـة (صنـع) ٢/ ٢٠٦٤ ، والصحاح (صنـع) ٣/ ١٢٤٥ ، والمعجم الوسـيط (الصنع) ١/ ٢٣٦ ، ومختار الصحاح (صنع) ١٥٥ .

١٠٥. قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ ؛ أي الأخسرين أعمالاً هم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ ؛ جحدوا دلائل توحيده وقدرته ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ ؛ وكفروا بالبعث ، والثواب ، والعقاب .

﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «بطل اجتهادهم»[١] .

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ .روى المفسرون في تفسير هذا حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل الشروب الأكول فلا يزن عند الله جناح بعوضة» ، ثم يقول : «اقرؤا ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية»[٢] .

وقال كعب بن عجرة[٣] : «يؤتى برجل يوم القيامة فيوزن بحبة فلا يزنها ، فيوزن بجناح بعوضة فلا يزنها ، ثم قرأ هذه الآية»[٤] . ونحو هذا قال عبيد بن عمير[٥] .

---

(١) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : معالم التنزيل ٥/ ٢١٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٧ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٣٦ .

(٢) جامع البيان ١٦/ ٣٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٩ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٦ ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٦٦ ، وأورده الحافظ بن حجر في فتح الباري ٨/ ٤٢٦ ، ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٣/ ٢١٤٧ .

(٣) كعب بن عجرة القضاعي ، حليف الأنصار ، صحب النبي ﷺ ، وعاش في المدينة ، وشهد الحديبية ، ثم سكن الكوفة ، وتوفي – رضي الله عنه – في المدينة سنة ٥٢هـ . انظر : الاستيعاب ٣/ ١٣٢١ ، والإصابة ٥/ ٦٠٠ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٣٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٩ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٦ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٧ .

وروى عطاء عن ابن عباس في هـذه الآية قال : «يريد أن ليس لهم وزن يوم القيامـة ، إنما يوزن من له عمل صالح ، وكان عـلى التوحيد»[١] . وهذه الأقوال في الظاهر تـدل على أن أعيان الرجـال يوزنون ، وليس كذلـك ؛ لأن الأعمال توزن يوم القيامة . والصحيح في هـذا ما قاله أهل المعاني ، روى أبو العباس عن ابن الأعرابي في هذه الآيـة قال : «العرب تقول : ما لفلان عندنا وزن ؛ أي قدر ، لخسـته ، ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له ، لخفته بسرعة طيشه ، وقلة تثبته في ما ينبغي أن يتثبت فيه»[٢] .

فالمعنـى على هذا أنهم لا يعتد بهم ، ولا يكون لهـم عند الله قدر ومنزلة[٣] . وحديث أبي هريرة محمول أيضاً على هـذا ، وهو أن العظيم الأكول الشروب لا قدر له ولا وزن عند الله ، إذا لم يكن من أهل التوحيد .

وقال بعضهم : «معنى هذا خفة موازينهم من الحسنات ، وذلك أن الموازين إنما ترجح بالطاعات ، وتنقص بالمعاصي ، فيوضـع الكافر في الميزان يوم القيامة فلا يزن شيئاً لخلوه مما يثقل الميزان به من توحيد الله»[٤] .

---

(١) ذكرت كتب التفسـير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٣٥ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٦ ، والكشـاف ٢/ ٥٠٠ ، وزاد المسـير ٥/ ١٩٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٣٦ ، والجامـع لأحكام القرآن ١١/ ٦٧ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٤ ، وروح المعاني ١٦/ ٤٩ .

(٢) زاد المسير ٥/ ١٩٨ ، وتهذيب اللغة (وزن) ٤/ ٣٨٨٦ .

(٣) المحرر الوجيز ٩/ ٤١٦ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٠ ، ٢١١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٧ ، وزاد المسـير ٥/ ١٩٨ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٣٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٧ ، والكشاف ٢/ ٤٠٣ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٨ .

وذكر ابن الأنباري وجه ما ذكره المفسرون فقال : «إن الله – عز وجل – يأمر بوزن أهـل الكفر تحقيراً لهم ، وتصغيراً لأمرهم ، حتى يتبين الخلق أنهم لا يزنون في ذلك المشهد وزن ذرة ولا جناح بعوضة»[١] .

يدل على صحة هذا ما روى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلون إلى سجن في جهنم يقال له : بولس ، يعلوهم فيه نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال من عصارة أهل النار»[٢] .

قال أبو بكر : «وإنما يجعلون أمثال الذر تصغيراً لهم عند أنفسهم ، ومَن يحضر القيامة»[٣] . وذكر مِن عنده في الآية وجهان : الكافر يقدم علي بسيئات لا حسنة معها ، والموازين القسط يوزن فيها حسنات العبد وسيئاته ، فإذا خلا الكافر من الحسنات ، وحصل على السيئات استحق النار بغير وزن ، ولا إقامة ميزان ، وما فعل الكافر في الدنيا من نصرة مظلوم ، وإطعام جائع ، وعمل بر يكافؤ عليه في الدنيا بتوسعة له في الرزق ، ويقدم على الله صفراً من كل خير . الثاني : لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً ؛ لأن الوزن عليهم لا لهم ؛ لأنه لا عمل لهم من أعمال الخير يوزن . الوجه الثالث : هو ما ذكره أبو العباس عن ابن الأعرابي ، وقد حكيناه[٤] .

---

(١) ذكر نحوه بلا نسبة في النكت والعيون ٣/ ٣٤٧ ، والكشاف ٢/ ٤٠٣ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٨ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شدة الوعيد للمتكبرين ٤/ ٥٦٥ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٧٩ ، وابن الأثير في جامع الأصول في كتاب في الكبر والعجب (النوع الثالث) ١٠/ ٦١٦ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ، كتاب الآداب وغيره ، باب الترغيب في التواضع والترهيب من الكبر ٣/ ٥٤١ .

(٣) ورد نحوه بلا نسبة في النكت والعيون ٣/ ٣٤٧ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٨ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٤ .

(٤) انظر : النكت والعيون ٣/ ٣٤٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٨ ، والتفسير الكبير ٢١/ ١٧٤ ، وفتح القدير ٣/ ٤٥١ .

١٠٦. قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت من حبوط أعمالهم ، وخسة قدرهم . ثم ابتدأ فقال : ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ .قال ابن الأنباري : «ويجوز أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ في موضع نصب ، بمعنى : فعل الله ذلك الاحتقار بكفرهم ، وجزاؤهم جهنم ، فأضمرت واو الحال مع الجملة»[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿بِمَا كَفَرُوا۟﴾ ؛ أي بكفرهم واتخاذهم آياتي ، يعني : القرآن . ﴿وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ قال ابن عباس : «يريد الذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ»[(٢)] . وإنما قال : ﴿وَرُسُلِى﴾ والمراد محمد ﷺ ؛ لأن مَن استهزأ به فقد استهزأ بجميع الرسل ؛ لأن الإيمان واجب بهم ، فالكفر بواحد كفر بالجميع . ونحو هذا قال الكلبي : «ورسلي :محمد ﷺ»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿هُزُوًا﴾ مصدر ، والمراد المفعول به .

١٠٧. قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ . قال رسول الله ﷺ : «الفردوس ربوة الجنة ، وأوسطها ، وأفضلها ، وأحسنها ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، فإذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس»[(٤)] .

---

(١) ذكر نحوه بلا نسبة في إملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٧ ، وروح المعاني ١٦/ ٤٩ .

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : بحر العلوم ٢/ ٣١٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١١ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٦ .

(٣) ذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣١٥ من دون نسبة .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٦/ ٣٧ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢١١ ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٠ ، وأخرج نحوه البخاري في كتاب الجهاد ، باب درجات المجاهدين ٦/ ١١ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين ١/ ١٦٣ ، والترمذي في كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في صفة درجات الجنة ٤/ ٦٧٣ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب في ما أنكرت الجهمية ١/ ٦٦ ، والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٣٥ .

وقال كعب : «هو البستان الذي فيه الأعناب»[١] . وهو قول الليث قال : «الفردوس جنة ذات كرم ، يقال : كَرْم مُفَردس ؛ أي مُعَرَّش»[٢] .

وقال الضحاك : «هي الجنة الملتفة الأشجار»[٣] . وهو اختيار المُبرِّد قال : «الفردوس في ما سمعت من كلام العرب : الشجر الملتف ، والأغلب عليه العنب ، وجمعه الفراديس . قال : ولهذا سمي باب الفراديس بالشام»[٤] . وأنشد لجرير[٥] :

فقلتُ للركبِ إذْ جدَّ الرحيلُ بنا ما بعدَ يبرينَ منْ بابِ الفراديسِ

وقال مجاهد : «هو البستان بالرومية»[٦] . واختاره الزجَّاج فقال : «هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ، وأنشد لحسان[٧] :

وإنَّ ثوابَ اللهِ كلَّ موحدٍ جنانٌ مَن الفردوسِ فيها يُخَلَّدُ

قال : وحقيقته : أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين»[٨] .

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٣٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٧ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١١ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٩ .

(٢) زاد المسير ٥/ ١٩٩ ، وتهذيب اللغة (فردوس) ٣/ ٢٧٦٢ .

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٢١١ ، وزاد المسير ٥/ ١٩٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٠ .

(٤) ذكره الأزهري بلا نسبة في تهذيب اللغة (فردوس) ٣/ ٢٧٦٢ .

(٥) البيت لجرير من قصيدة قالها يهجو التيم .
يبرين : مكان في بلاد بني سعد ، والفراديس : مكان بدمشق . انظر : ديوان جرير ، ٢٥٠ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٣٦ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٨ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١١١ .

(٧) البيت لحسان بن ثابت -رضي الله عنه- من قصيدة قالها يمدح فيها النبي ﷺ . انظر : ديوان حسان ٩٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٨ ، ومعاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٥ ، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٥٠ ، ولسان العرب (فردس) ٦/ ٣٣٧٥ .

(٨) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٥ .

ومعنى ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ .قال ابن الأنباري : «في علم الله قبل أن يخلقوا»[١] .

وقوله : ﴿نُزُلًا﴾ ؛ أي منـــزلاً . قال أبو علي : «ويجوز أن يكون ﴿نُزُلًا﴾ يراد به القوت الذي يقام للنازل أو الضيف ، فيكون النزل القوت ، وهذا الوجه يحتاج فيه إلى تقديـــر المضاف على معنى : كانت له ثمار جنـــات الفردوس ، أو نعيمها . قال : ويجوز أن يكون النُزُل جمع نَازِل ، ويكون حالاً والعامل فيه معنى الفعل في ﴿لَهُمْ﴾»[٢] .

١٠٨. ويدل على هـــذا الوجه قوله تعـــالى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ . قال الليث : «الحِوَلُ يجرى مجرى التَّحويل ، تقول : حُوِّلوا عنها تحويلاً وحِولاً»[٣] .

قال الأزهري : «فالتحويل مصدر حقيقي من حوَّلت ، والحول اســـم يقوم مقام المصـــدر»[٤] . ونحو هذا قال ابن قتيبة في تفســـير ﴿حِوَلًا﴾ : (تَحْوِيلاً)[٥] . ورواه أيضاً أبو العباس عن ابن الأعرابي[٦] .

وقال أبو عبيدة ﴿حِوَلًا﴾ : (تحويلاً)[٧] .

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٩٩ .
(٢) الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٦٤ .
(٣) تهذيب اللغة (حال) ١/ ٧٠٩ .
(٤) تهذيب اللغة (حال) ٥١/ ٧٠٩ .
(٥) تفسير غريب القرآن ١/ ٢٧١ .
(٦) تهذيب اللغة (حال) ١/ ٧٠٩ .
(٧) مجاز القرآن ١/ ٤١٦ .

[قال الفرَّاء : «وهو مصدر تحولت ، ذكر على أصله»][(١)(٢)] . يعني بحذف الزوائد ، كالصغر والعوج . ونحو هذا قال الزجَّاج : «أي لا يريدون عنها تحويلاً»[(٣)] .

قال ابن عباس : «لا يريدون أن يتحولوا عنها ، كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى ، والجنة ليست هكذا»[(٤)] .

وقال مجاهد في قوله : ﴿حِوَلًا﴾ (متحولاً)[(٥)] . يعني بالتحول المصدر . وذكر الزجَّاج وجهين آخرين في الحول ، أحدهما : قال : «يقال : قد حال من مكانه حِوَلاً ، كما قالوا في المصادر : صَغُرَ صِغَراً ، وعَظُم عِظَماً ، وعادني حبها عِوَداً ، فعلى هذا ، الحِوَل الحِيلَةُ ، فيكون المعنى على هذا : لا يحتالون منزلاً غيرها»[(٦)] .

١٠٩. قوله تعالى : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ الآية . روى عكرمة عن ابن عباس ، قال : «قالت قريش لليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل . فقالوا : سلوه عن الروح ، فنزلت : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء :٨٥] ، فقالوا : أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، فأنزل الله : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ الآية»[(٧)] .

---

(١) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (ص) .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦١ .

(٣) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٥ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ٢١٢ .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٣٨ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤١٨ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٨ ، وفتح القدير ٣/ ٤٥٢ .

(٦) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٥ .

(٧) المحرر الوجيز ٩/ ٤١٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٩ ، وأسباب النزول للواحدي : ص ٣٠٨ .

ومعنى المداد في اللغة : المجيء شيئاً بعد شيء على اتصال ، ومنه يقال للزيت الذي يوقد به السراج : مداد[١] .

قال الأخطل[٢] :

رأوْا بـارقـاتٍ بالأكـفِّ كـأنها مصابيـحُ سُرْجٌ أُوقـدتْ بمدادِ

أي بزيت يمدها . قال ابن الأنباري : «سمي المداد مداداً لإمداده الكاتب»[٣] . وأصل هذا من الزيادة والكثرة ، من قوله : مد النهر ، إذا كثر ماؤه ومده نهر آخر ، ومنه قولـه : ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان :٢٧] ، قال مجاهد : «لو كان البحر مداداً للقلم ، والقلم يكتب ، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي»[٤] .

---

(١) تهذيب اللغة (مـد) ٤/ ٣٣٦١ ، والقاموس المحيط (المـد) ١/ ٣١٨ ، والصحاح (مدد) ٢/ ٥٣٧ ، ولسان العرب (مدد) ٧/ ٤١٥٨ .

(٢) البيت للأخطل غياث بن غوث بن الصلت التغلبي .
سرج : السراج الزاهر الذي يزهر بالليل ، والمسرجة التي توضع فيها الفتيلة . انظر : لسان العرب (مدد) ٧/ ٤١٥٦ .

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٠١ ، والطبري في مجمع البيان ٦/ ٧٧٠ ، والشوكاني في فتح القدير ٣/ ٤٥٤ ، وذكر نحوه الأزهري في تهذيب اللغة (مد) ٤/ ٣٣٦١ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٣٩ ، ومعالم التنزيل ١٥/ ٢١٢ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠١ .

قال ابن عباس : «يريد أن كلماته أعظم من أن يكون لها أمد»[١] . والكلام القديم صفة من صفات ذاته[٢] ، فلا يجوز أن يكون لكلامه غاية ومنتهى ، كما ليس له غاية وحد ، فأوصاف ذاته غير محدودة أيضاً . وهذا رد على اليهود حين ادعوا أنهم أوتوا العلم الكثير ، وكأنه قيل لهم : أي شيء الذي أوتيتم في علم الله ؟ فكلماته التي لا تنفذ ولا تتناهى ، كما لو كتبت بماء البحار وأضعاف ذلك . وقال ابن عباس في تفسير (كَلِمَاتُ رَبِّي) : «يريد مواعظ الشكر[٣] مني ، أو مواعيد ربي وعلمه في خلقه»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ ؛ أي بمثل البحر في كثرة مائه مداداً زيادة له .

وأراد لو جئنا بمثله مداداً له ، والمدد : كل شيء زاد في شيء . يقال : أمددناهم بمدد ؛ أي بقوم يزيدون في عددهم . قال الزجَّاج : «﴿مَدَدًا﴾ منصوب على التمييز ، يقول : ملؤ هذا ، ومثل هذا ذهباً ؛ أي من الذهب»[٥] . كقوله : ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة :٩٥] قال ابن الأنباري : «ويجوز أن يكون ﴿مَدَدًا﴾

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٦/ ٣٩ ، ومعالم التنزيل ١٥/ ٢١٢ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٢٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٣٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٩ .

(٢) «الكلام صفة من صفات الله عز وجل ، نثبتها كما أثبتها لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ، وهو صفة ذاتية باعتبار أصله ؛ لأن الله – تعالى – لم يزل ـ ولا يزال ـ متكلماً ، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية ؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته يتكلم متى شاء بما شاء . وقد تقدم التعليق مراراً على الأقوال التي يوردها الواحدي والمتعلقة بالأسماء والصفات . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢ ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد بن عثيمين ٣٣ ، والعقيدة الواسطية ٤٣ .

(٣) في (ص) : (الشك) ، وهو تصحيف .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٩ .

(٥) معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣١٦ .

منصوب على المصـــدر لجئنا بتقدير : لمدد البحر بمثله مدداً ، كما تقول : جاء فلان ركضاً . قال : ويجوز أن يكون نائباً عن الحال بتقدير : لو جئنا بمثله مادين»[١] .

١١٠. قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ .قال ابن عباس : «علَّم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه»[٢] . وهذا أمر من الله لرســوله بأن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره ، إلَّا أنه أكرم بالوحي ، وهو قوله : ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له . ذكر المفسرون في ســبب نزول هــذه الآية : «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقــال : إني لأصلي ، وأتصدق ، وأحب مــع ذلك أن يطلع عليــه الناس ، فأنزل الله هــذه الآية»[٣] . والإشــارة في ذكر توحيده هاهنا إلى مَن راءى بعمله[٤] ، فكأنه أشرك فيه غير الله ، والمعبود واحد لا يقبل الشركة .

قولــه تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ ؛ لقاء البعث والمصير إلى الله . والرجاء يذكر بمعنى الخوف ؛ لأنه يتضمن الخوف ، ومنه قول الهذلي[٥] :

إذا لسعتْهُ النَّحلُ لَمْ يرجُ لسْعَها

---

(١) ذكر نحوه بلا نسبة في المحتســب ٢/ ٣٥ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٤٠٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٦٩ ، والدر المصون ٧/ ٥٥٨ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢١٣ ، وزاد المسير ٥/ ٣٠٢ ، ومجمع البيان ٥/ ٧٧٠ .

(٣) جامــع البيان ١٦/ ٤٠ ، والمحرر الوجيــز ٩/ ٤٢١ ، والجامع لأحكام القــرآن ١١/ ٦٩ ، وأخرجه الحاكم في المســتدرك في كتاب التفسير ٤/ ٣٢٩ ، وأسباب النزول للواحدي ٣٠٨ ، ولباب النقول في أسباب النزول ١٤٥ .

(٤) في (ص) : (بعلمه) .

(٥) هو صدر بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وعجزه :

وخالفَها في بيتِ نوبٍ عواسلِ

اللســع : لما ضرب بمؤخرة ، واللسع لذوات الإبر من العقارب والزنابير ونحوها . والنوب : النحل وهو جمع نائب ؛ لأنها ترعى وتنوب إلى مكانها . انظر : شرح أشعار الهذليين ١/ ١٤٤ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ١/ ٢٨٦ ، وتفســير غريب القــرآن ١/ ٢٧١ ، وتهذيب اللغة (ناب) ٤/ ٣٤٧٦ ، واللســان (نوب) ٨/ ٤٥٦٩ .

أي لم يخف . وهذا قول الكلبي ، ومقاتل[١] . وهو باطل عند الفرَّاء ؛ لأن الرجاء لا تذهب به العرب مذهب الخوف إلَّا مع الجحد[٢] . كقوله : ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية :١٤] ، و﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح :١٣] .

قال ابن الأنباري : ««من» حرف شرط ، والشرط يقع على ما لم يتحصل ، فجرى الشرط في هذا مجرى الجحد»[٣] . وقال سعيد بن جبير : «من كان يأمل ثواب الله»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ؛ أي خالصاً لا يرائي به . والمفسرون والصحابة على أن هذه الآية نزلت في النهي عن الرياء ، وذكروا في تفسير هذه الآية : ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : «قال الله : أنا خير الشركاء ، مَن عمل لي عملاً وأشرك فيه غيري ، فأنا منه بري ، وهو للذي أشرك»[٥] .

---

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره ٩/ ٤٢٠ من دون نسبة ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٢١٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٤٩ ، وأضواء البيان ٤/ ٢٠٠ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٧١ ، وتفسير المشكل لمكي ١٤٥ . قال الشنقيطي ـرحمه اللهـ في أضواء البيان ٤/ ٢٠٠ : «الرجاء يستعمل في رجاء الخير ، ويستعمل في الخوف أيضاً ، واعلم أنهما متلازمان فمن كان يرجو ما عند الله من الخير فهو يخاف ما لديه من الشر كالعكس» .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٢٨٦ .

(٣) ذكر نحوه في زاد المسير ٥/ ٢٠٣ ، ومجمع البيان ٦/ ٧٧٠ ، وروح المعاني ١٦/ ٥٣ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٣٩ ، وبحر العلوم ٢/ ٣١٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٦٠ .

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزهد ، باب مَن أشرك في عمله غير الله ٣/ ٢٢٨٩ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٥ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٦٠ ، وعزاه لأحمد ، ومسلم ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

وهذا قول عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس[١][٢] .

وقال كثير بن زياد[٣] : «قلت للحسن : قول الله : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية ، قال : في المؤمن نزلت . قلت : مشركاً بالله ؟ قال : لا ، ولكن أشرك في عمله ، يريد الله به والناس ، فذلك الذي يرد عليه»[٤] .

وقال سعيد بن جبير في قوله : ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ : «ولا يرائي»[٥] .

ونحو هذا قال مجاهد ، وموسى بن عقبة[٦][٧] .

---

(١) شداد بن أوس بن ثابت المنذر بن حرام ، أبو علي ، الأنصاري ، النجاري الخزرجي ، ابن أخي حسان بن ثابت ، وهو من فضلاء الصحابة وعلمائهم ، توفي رضي الله عنه سنة ٦٤هـ . انظر : حلية الأولياء ١/ ٢٦٤ ، والجرح والتعديل ٤/ ٣٢٨ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣١٥ ، وشذرات الذهب ١/ ٦٤ ، وطبقات ابن سعد ٧/ ٤٠١ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٢٥ ، والحاكم في المستدرك ٣/ ٥٠٦ وصحَّحه ، والطبري في تفسيره ١٦/ ٤٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٦٠ ، وعزاه لأحمد ، وابن أبي الدنيا ، وابن مردويه ، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢١ .

(٣) كثير بن زياد ، أبو سهل البرساني الأزدي ، العتكي ، البصري ، سكن بلخ ، وكان ثقة ، وهو من أكابر أصحاب الحسن ، روى عن الحسن ، وعمر بن عثمان ، وأبي سمية ، وأبي العالية ، وروى عنه حماد بن زيد ، وجعفر بن سليمان ، وعمرو بن الرماح البلخي وغيرهم ، وثقه العلماء وأثنوا عليه . انظر : الثقات لابن حبان ٧/ ٣٥٣ ، والكشاف ٣/ ٤ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٤ ، وتهذيب الكمال ٢٤/ ١١٢ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٣٧٠ .

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٥٩ ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٥) جامع البيان ١٦/ ٤٠ ، والمحرر الوجيز ٩/ ٤٢١ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٠ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٩ .

(٦) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي ، مولى آل الزبير ، تابعي جليل ، روى عن أم خالد بنت سعيد بن العاص ، والأعرج ، وعكرمة ، وعروة بن الزبير وغيرهم ، وروى عنه بكير بن الأشج ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، وابن جريج وغيرهم ، وكان ثقة ، كثير الحديث ، اشتُهِر بالصلاح والتقوى ، توفي سنة ١٤١هـ بالمدينة . انظر : الجرح والتعديل ٨/ ١٥٤ ، والكاشف ٣/ ١٨٦ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٢١٤ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٢١ .

(٧) جامع البيان ١٦/ ٤٠ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٥٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٧ .

هذا الـذي ذكرنا قول الجمهور ، وروى الوالبي عـن ابن عباس : «أن هذه الآية أنزلت في المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، وليست في المؤمنين»[١] .

والصحيح الذي عليه الناس ، وقد بين ذلك ابن عباس في ما روى عنه عطاء ، وهو أنه قال : «قال الله : ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ ، ولم يقل : ولا يشرك بربه ؛ لأنه أراد بالعمـل الذي يعمـل الله ، ويحب أن يحمد عليه ، قال : وكذلك يسـتحب للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها ، كيلا يعظمه ويوقره مَن يصله بها»[٢] .

قال الكلبي ، ومقاتل : «نزلت هذه الآية في رجل يقال له : جندب بن زهير[٣] ، قال : يا رسـول الله ، أعمل العمل ألتمس به ثواب الله ، وأحب أن يثنى عليَّ به ، فأنزل الله فيه هذه الآية»[٤] . ونحو هذا قال مجاهد[٥] ، وطاووس[٦] .

---

(١) الدر المنثـور ٤/ ٤٥٨ ، وروح المعاني ١٦/ ٥٥ ، وفتح القديـر ٣/ ٤٥٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٧ .

(٢) روح البيان ٥/ ٣٠٩ ، ومجمع البيان ٥/ ٧٧٠ .

(٣) جندب بن زهير الأزدي ، الغامدي ، أحـد أصحاب النبي ﷺ ، عالم ، زاهد ، تقي ، ورع ، روى عنه عدد من التابعين منهم : أبو عثمان الهندي ، والحسـن البـصري ، وتميم بن الحارث ، قُتل – رضي الله عنه – في موقعة صفين ، وكان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه أميراً على الرجالة . انظر : أسد الغابة ١/ ٣٠٣ ، والإصابة ١/ ٢٤٩ ، والاسـتيعاب ١/ ٢١٩ ، والكاشـف ١/ ١٣٢ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ١١٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٧٤ .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٣٥٠ ، وزاد المسـير ٥/ ٢٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٠ ، وتفسير مقاتل ٢٣١ ، وأسـباب نزول القرآن للواحدي ٣٠٧ ، ولباب النقول في أسـباب النزول للسيوطي ١٤٥ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١١ ، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف ٤/ ١٠٥ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٧٢ ، وزاد المسـير ٥/ ٢٠٣ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ١١٢ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٩ ، وأسباب نزول القرآن للواحدي ٣٠٧ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٥ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١١ .

(٦) جامع البيان ١٦/ ٤٠ ، وتفسـير القرآن للصنعاني ١/ ٣٤٨ ، وزاد المسير ٥/ ٢٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٩ ، وتفسـير القرآن العظيم ٣/ ١٢٠ ، والدر المنثور ٤/ ٤٥٩ ، وأسـباب نزول القرآن للواحدي ٣٠٧ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٥ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢١١ .